ن ج ف ح

إبراهيم عباس

يتخيلون

أنا حوجن بن ميحال الفيحي..
شاب في أوائل التسعين، أقدم لكم حكايتي مع سوسن.. الإنسية. أتمنى أن تشاركوني همومي وعواطفي، بغض النظر عن الحواجز التي تفصل عالمينا..
عالم الإنس..
وعالم الجن..!



١٥ ر.س. 11.99 USD - 9.99 EUR - 7.99 GBP



إبراهيم عباس



إبراهيم عباس.. عضو مؤسس في رابطة يتخيلون التي تجمع كتّاب وعشاق ومبدعي الخيال العلمي العربي، هدفها نشر وتحفيز ثقافة الخيال العلمي العربي وإثراء محتواها ومخرجاتها والارتقاء بها بشكل يؤهلها للتنافسية العالمية.

www.يتخيلون.com

sales@يتخيلون.com

info@يتخيلون.com

إهداء لـ..

أميراتي وملهماتي: أمي وزوجتي وبناتي.

شكر لـ..

علي شنيمر الذي استمع إلى رواياتي قبل أن أكتبها، وألح علي إلى أن كتبتها.. وياسر بهجت رفيقي في الحلم اليتخيلوني.

قصة.. قبل القصة

هذه الرواية ولدت من رحم رواية أخرى.. لا تقل عنها جنوناً ولا خيالا. رواية لم تسعها الصفحات الورقية، فنُقشت على صفحات حياتنا وجدران قلوبنا. تحكي قصة روح ملائكية، سكنت في جسد حورية، وعاشت بيننا.. تظن نفسها بشرية.

كنت أسير في حياتي الروتينية، إلى أن لقيتها فأيقظت في كياني كل ما أصبحت عليه الآن. بسببها تعرفت على نفسي، وها أنذا لا أزال أحاول أن أرسم عواطفي نحوها بين ثنايا كل حرف أكتبه..

كل حرف يردد صدى لحن وجداني الدائم:

كل هذا من أجلك..

كل هذا بسبب حبك..

يا مينه.

إبراهيم،،

(1)

بيتنا صار مسكوناً.. بالإنس!

أنا حوجن..

حوجن بن ميحال الفيحي..

شاب في أوائل التسعين..

سأحكي لكم قصتي..

قصتي التي لم تبدأ بالفعل إلا منذ بضع سنوات.. مع سوسن.. الإنسية.

حسنٌ، يهمني أن لا أتحدث مع من يتخيلني عفريتاً ذا عين واحدة وقرون وسيقان ماعز، فدائماً تجتاحنا نوبات الضحك الهستيري عندما نشاهد تلك الصورة التقليدية "العفريتية" السائجة التي تتخيلوننا بها. أرجوكم انسوا من أكون، من أي جنس وأي أصل، ما يهمني هنا هو أن تشاركوني قصتي وأحاسيسي وحسب. وأشكركم مقدماً لتفهّمكم..

ولأزيل بعض الفضول الذي أراه في أعينكم فأنا شكلي عادي جداً، حالي حال أي جنّي، ولو أن أمي تبالغ أحياناً في تدليلي والتغزل في جمالي فأنا وحيدها ودلوعها. لا تسألوني عن التفاصيل، فقد فشلنا وفشلتم طوال آلاف السنين في نقلها

بدقة إلى مخيلتكم، ولكنني أتعشم في أن تتضح لديكم جوانب من حياتنا وطباعنا وأحاسيسنا نحن الجن، التي قد تستنكرون إذا قلت لكم أنها لا تختلف كثيراً عن طباعكم أنتم. فنحن مثلكم تماماً نأكل ونشرب وننام ونفرح ونحزن ونتزوج وننجب و.. نحب!

من خلال احتكاكي البسيط بكم (يا إنس) لاحظت أنكم طالما تكررون نفس السؤال الذي يحمل بعض السذاجة: الجن يفعلون كذا؟ الجن يفعلون كذا؟! معقولة؟؟؟ وأعلم أن نفس هذا السؤال سيتكرر خلال سردي لقصتي، لذا أحب أن أجيبه مسبقاً وأكرر: نعم نحن مثلكم..! أولم نسكن معكم هذا العالم بصفتنا الكائنات الوحيدة العاقلة المكلفة غيركم؟ أولم نعبد الله ونتبع الرسل مثلكم؟ فلم إذاً تتخيلون مجتمعنا بهذه السطحية الخزعبلاتية؟

نعود إليها.. سوسن.. سوسن اسم من أسمائكم، لم ألاحظه قط إلا بعد أن عرفتها، وعرفت أنكم تطلقونه على تلك الزهرة التي أدمنْت استنشاق عطرها من حوض الأزهار التي تعتني بها على نافذتها. وقبل أن أتابع معكم أحداث روميو وجولييت دعوني أقص عليكم القليل مما سبقها.

فمع إتمامي لدراستي بتفوق والحمدلله، والتحاقي بأحد أكبر الدور العلاجية (المراكز الطبية على حد تعبيركم) كمتدرب ومن ثم كموظف براتب محترم بدأت أمي اسطوانتها اليومية التي لا تفتأ ترددها على مسامعي كلما رأتني:

"يا حوجن فلانه تصلح لك.. يا حوجن شفت لك وحده زي القمر.. يا حوجن شمانه ما تتعوض.."

وأنا أتهرب منها بلطف، فلا أعتقد أنني سأقبل بالزواج التقليدي، ولا أجد رغبة في الانتقاء من بين المرشحات من بنات أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي (اثنان وتسعون فتاة نصفهم لم يتزوج بعد). أعلم أنه لو كان والدي على قيد الحياة لحسم الموضوع لصالح إحدى بنات أعمامي، لصالح جماري بالذات ابنة عمي سنوطل أكبر أعمامي، وذلك هو المستحيل بعينه! فأعمامي قد توغلّوا في أمور الشعوذة والسحر الأسود ووقّعوا عقوداً مع أكبر تجمعات المردة وسحرة الإنس، وأعوذ بالله أن أسلك مسلكهم! كان والدي رحمه الله هو الوحيد الذي شذّ عنهم فرفض العمل في مجال خدمة السحرة التي تدر أضعاف المكاسب إذا ما قورنت بمهنته المتواضعة التي بالكاد تطعمني وأمي، بل واختار الزواج من أمي التي تعتبر

من آل النَفَر (سلالة النفر الذين استمعوا للقرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) المعروفين بأخلاقهم والتزامهم على عكس عائلة أبي، وكان من الطبيعي بعد وفاة والدي أن أتربى في كنف أمي وجدي.

ونحن من الجن المستأنسين، أي أننا نسكن ونتأقلم بين المجتمعات الإنسية على عكس معظم التجمعات الجنيَّة الأخرى التي يضايقها وجود الإنس بالجوار فتفضل السكنى في مستعمراتها الخاصة بعيداً عن المدن والمساكن الإنسية. منذ ولادتي وأنا أسكن هنا، في هذه البقعة التي كانت تبعد قرابة العشرة كيلومترات شمال مدينة جدة التي تضخمت لتحتل معظم أجزاء قريتنا، فهاجر من القرية من هاجر وبقينا أنا وأمي وجدي مع من بقي في نفس المكان، وقبل خمسة أعوام بدأتم في إنشاء إحدى مشاريعكم الكبيرة ولم تمر بضعة أشهر حتى تحولت الأرض من حولنا إلى مجمع سكني هائل يضم عشرات الڤلل الصغيرة ووجدنا أنفسنا في إحداها. بقيَت تلك الڤيلا خاوية لما يزيد عن عامين، ازداد من خلالها اطلاعي على مجتمعكم عن كثب، ففي السابق كنت لا أميل إلى الاحتكاك بكم ولم يدفعني فضولي لذلك بالرغم من أنني كنت أقطع مدينتكم بأكملها ذهاباً وإياباً كل يوم للوصول

إلى مقر عملي، ولم يضايقنا أبداً وجود ذلك البيت بل بالعكس خصصنا سطح البيت لجدي المريض وأنا سكنت إحدى غرف المنزل أما أمي فكانت تمضي معظم الوقت بين رعاية جدي والصلاة تحت سلالم البيت.

حتى جاء ذلك اليوم..

فعند عودتي من العمل لاحظت سيارتين أمام الڤيلا وكان ذلك يعني لنا شيئاً واحداً.. أن البيت أصبح مسكوناً!!

تجولت بسرعة في أنحاء البيت فوجدت أمي تحت سلم البيت تبكي وتندب حظها.. قلت لها مهدئاً:

"ولا يهمك يا أمي، بكره نجهز نفسنا للانتقال لقرية عنانوه أو الهندبَة، أنا ادخرت مبلغ و.."

"لا تقولها!! مستحيل أترك هذا المكان!! مستحيل أترك ريحة أبوك.. مستحيل أموت في غير المكان اللي عشنا فيه سوا!! وبعدين يا حوجن لا تنسى إنه جدك كبير ومريض وما يستحمل تعب النقل!!"

كنت أعلم أنه لا مجال للنقاش مع دموعها وذكرى والدي، فمسحت بيدي على وجهها وقلت ملطفاً للموقف:

"إش يضرنا وجودهم؟ إحنا في حالنا وهم في حالهم.. ويعدين لا تحكمي عليهم قبل ما تشوفي أخلاقهم.."

نجحت كلماتي في تهدئة بعض روعها فاستأذنتها:

"خليني أشوف خبرهم وأرجع لك"

كان ذلك أحد الراغبين في شراء الڤيلا، الدكتور عبدالرحيم سعيد، رجل جمع بين العلم والعصامية والوقار الذي خطه ذلك الشيب على شعره ولحيته الأنيقة، وحرمه السيدة رجاء الحاصلة على الماجستير في التربية وتدير إحدى المدارس الثانوية، وابنهم الشاب هتّان الذي شارف على إتمام دراسته الثانوية، وابنتهم.. سوسن.

سوسن طالبة في كلية الطب، تسعى لتحقيق أحلام والديها بالتفوق المذهل في دراستها والمحافظة على معدّلها الذي ندر أن يناله أحد في تلك الكلية، بالذات في آخر سنواتها. بالرغم من جديتها المفرطة في دراستها فإن سوسن تتحول إلى كتلة

وردية من الخجل عند احتكاكها بالناس فمن يراها يخالها طفلة لم تتعد التاسعة بابتسامتها الصافية ووجهها الممتلئ ووجنتيها الحمراوين طوال الوقت، ذلك الخجل جعلها تتحاشى الاندماج في محيطها وتميل إلى قضاء معظم أوقاتها بين كتبها.. أو أهلها.. أو.. بمفردها مع أزهارها.

كم تأثرت بنظرة الدكتور عبدالرحيم وهو يرى حلم حياته يتحقق أخيراً بامتلاك تلك الڤيلا الصغيرة (ڤيلتنا سابقاً)، فقد أمضى عقدين من عمره في تلك الشقة يدفع إيجارها ويجمع القرش على القرش ليمتلك بيت أحلامه. كان يجول بنظره في تلك الڤيلا وخياله حائر بين السعادة والعجب، فرجل مثله حاز على أعلى الدرجات الأكاديمية وتبوأ أعلى المناصب في وزارة الصحة عانى كل ما عانى ليمتلك منزلاً متواضعاً لا يرقى أبداً لما كان يتبادر إلى أحلامه وأحلام زوجته طوال أربعة وعشرين عاماً

"بابا.. بابا هذي الغرفة عجبتني..!!"

أعادته سوسن من بحر خواطره بتلك العبارة وهي تشير إلى آخر غرفة في الممر.. إلى غرفتي.. سابقاً!

قبل أن أستوعب الأمر كان الجميع في غرفتي بعد أن سبقتهم سوسن إليها..

"هـنا مكـتبي وهـنا سريري وهـنا أرض أحواض الزهور.."

كانت سوسن تهتف بسعادة شاركها فيها الجميع.. عداي. راقبت الجميع وهم ينصرفون وفهمت من حديث الدكتور عبدالرحيم مع السمسار أنه سينتقل للعيش في الڤيلا في غضون أسبوعين فقط.

(2)

كلمتي الأولى لابنة الإنس!

اضطررت لأخذ إجازة طارئة، أمضيتها ما بين تطييب خاطر أمي المسكينة، ومراقبة أفواج العمال الذين بدأوا بتجهيز البيت، دهان الجدران، تغيير الإضاءة، ترتيب الأثاث. أنتم يا بشر مهووسون بالكماليات، نحن نبني بيوتنا في أيام، وأنتم تمضون نصف أعماركم في بنائها، والنصف الباقي في إتمام إكسسواراتها. كنت أراقبها، زهرة تلك الأسرة.. سوسن. كانت تتقافز بين جنبات غرفتها الصغيرة، وكأنما ترقص بين شرفات قصر أسطوري، تحمل قصاصاتها الملونة، وعيّنات أقمشة الستائر، وصور الأثاث. الأثاث الذي وضعت أولى لمساته بيديها.. حوض أزهارها.

انتقلت الوالدة إلى سطح المنزل بجوار جدي، وفضلت أنا أن أقضي معظم الوقت في الفناء أو في المخزن. المتشددون من الجن يحرّمون العيش في بيوت الإنس، ولكننا نتبع الرأي المعتدل الذي يبيح العيش معهم، أقصد معكم طالما لا يضر أحدنا الآخر. في الواقع أنا لا أملك الخيار هنا فأمي لم ولن تقبل بترك هذا المنزل مهما حاولت إقناعها، ولم ولن أجرؤ على تركها مع جدي. سببت لي حياتي بينكم الكثير من الارتباك في بادئ الأمر، كنت أحرص على أن اتفادى الاحتكاك بكم (من طرف واحد بالطبع)، كنت أحترم جميع خصوصيات تلك

الأسرة، ونادراً ما أبقى في نفس الغرفة مع أي منهم. لا أعتقد أن أياً منكم أحس بهذا الشعور من قبل، شعور طاقية الإخفاء: أن ترى شخصاً يراك، أن تحمل هموم الدنيا وبجوارك شخص يضحك على مشهد كوميدي في التلفزيون، أو أن تستيقظ من نومك فجأة على صوت شجار عائلي محتدم لا يخصك، أو أن تضطر إلى مغادرة الغرفة عندما تدخلها إنسية، وتتسلل خارجاً من الباب قبل أن تغلقه خلفها.. وهذا ليس مجرد مثال، وإنما موقف حصل لي بالفعل، فقد كنت أحن أحياناً لغرفتي.. أقصد غرفة سوسن، فآخذ فيها قيلولتي بعد عودتي من العمل، نوبتي كانت تنتهي الساعة الثامنة صباحاً فأصل في الوقت الذي تكون فيه سوسن قد غادرت لجامعتها، وفي ذلك اليوم كنت منهكاً بالفعل، وغصت في نوم عميق وفجأة دخلت علي سوسن راكضة باكية، وأغلقت بابها خلفها بسرعة وقوة، فلم أستطع أن أخرج، واضطررت للجلوس في غرفتها.

جلستُ القرفصاء بجوار الباب، في انتظار أي أحد ليفتحه لأبادر بالخروج.. وطال انتظاري.. كانت سوسن تبكي بحرقة على سريرها، دفنَت رأسها في مخدتها، وانسابت دموعها تسقيها..

كنت دائماً أعتقد أننا – معشر الجن – لدينا ما يكفينا من هموم، ولسنا بحاجة إلى المزيد من همومكم وتعقيداتكم يا إنس، ولكن سوسن.. التي لم أرها في حياتي إلا ضاحكة مبتسمة، وكأن عضلات وجهها لا تتقن سوى رسم تلك الابتسامة الطفولية المكسوة بالبراءة وحمرة الخجل.. رأيتها اليوم تبكي وتشهق بشكل أثار شفقتي وفضولي. ما الذي يمكن أن يُبكي هذه الطفلة؟ من الذي يمتلك ما يكفي من القسوة لمحو تلك البسمة الملائكية؟ نصف ساعة مرت وأنا جالس في انتظار الفرج، وبكاء سوسن يخبو، ويتحول بالتدريج إلى شهقات بلا نحيب، ثم إلى بكاء صامت لا يقاطعه سوى أنفاسها المحترقة التي تلتقطها مكرهة بين الفينة والأخرى، أفزعني صوت طرقات الباب من خلفي.. هذه السيدة رجاء تسأل بلهفة:

"سوسن؟ سوسن! إش حصل؟ سوسن؟ افتحي يا

هبّت سوسن، التي كانت على استعداد لأن تتحمل كل آلام الدنيا ولا أن تتحمل لوعة أمها وأبيها عليها. استطاعت بمهارة أدهشتني أن ترسم الابتسامة التي اعتادت عليها عضلات وجهها رغماً عن أنف كل ذلك الحزن الذي لم يتبق منه سوى

انتفاخ عينيها واحمرار أنفها. أخفت المخدة المبللة تحت المخدة الأخرى، سحبت منديل لتمسح أنفها وفتحت الباب وهي تقول وبنبرة تستحق عليها الأوسكار على إخفاء البكاء بالزكام الوهمي:

"نعم يا ماما.. نعم.."

فتحت الباب، وبادرتها أمها بنظرة قلقة مرتابة:

"سوسن؟ إنتِ بتبكي؟!"

أردت أن أستغل الفرصه وأبادر بالفرار من الغرفة قبل أن أُحبس فيها مرة أخرى، ولكن فضولي غلبني، فوقفت قرب الباب أراقب الموقف، وأراقب ممثلتنا البارعة وهي تقول بلهجة مسرحية وبحزن مفتعل ساخر:

"ماما إنتِ ما عرفتِ إش حصل اليوم في الكليّة؟"

جلسَت على طرف السرير، وتصاعد قلق أمها وهي تقول:

"خير يا بنتي إش حصل؟"

"طلع عندي اختبارين ما كنت دارية عنهم.. وكل البنات والأولاد حلّوا كويس وأنا خبّصت.."

"من جد؟!.. وإش سويتي؟"

"اضطريت يا ماما أنقل إجابات فرح صاحبتي.."

اتسعت عينا أمها لآخرهما وهي تصرخ:

"إيييييش؟"

واصلت سوسن في مكر وحزن درامي مصطنع:

"وكفشنا الدكتور!! وقدم أوراقنا للعمادة، واعطوني إنذار بالفصل و.."

قاطعتها أمها بعد ما بدأت تستوعب خداع ابنتها:

"سوووسسسسن!"

انفجرت سوسن ضاحكة مداعبة أمها:

"إش أسويلك يا ماما إنتِ بتخلّي من الحبةّ قبّة، كلها شوية زكام وطلعتيني بابكي وأولول!"

قالت لها أمها في مداعبة حازمة وهي تعيد خصلة من شعر سوسن غطت عينها إلى مكانها:

"دايماً تسويها في أمك!.. أنا حاوريكِ شغلك بعدين.. يللا غيري ملابسك وانزلي ساعديني في تجهيز الغدا"

خرجت الأم وبادرتُ أنا بالخروج قبل أن تغلق أم سوسن الباب، وألقيت نظرة أخيرة على سوسن، على عينها التي عادت تقذف الدموع الساخنة التي استطاعت أن تحبسها عن أمها بأعجوبة.

يا ترى مالذي يحزنك يا سوسن؟ أول سبب قد يخطر ببالي هو السبب الذي يبكي كل البنات في سنها: أزمة عاطفية..! أعتقد انها كأكثر الفتيات من حولها قد جرحها الشاطر حسن الذي كانت تحلم به أميراً ينتزعها بذراعه المفتول ليلقي بها خلفه على حصانه الأبيض لتكتشف أنه ليس سوى نذل أخر يلقي بها من ميموري هاتفه وقائمة ماسنجره لتفسح المجال للمزيد من المغفلات.. تتكرر القصة معكن يا بنات الإنس، كل يوم وكل لحظة وأنتن مهووسات بعواطفكن، لا تتعبن من أحلامكن، وأكثركن حظاً هي التي يسعفها ذكاؤها لتفنيد الآدمي من النذل، ويتماسك حياؤها وكرامتها إلى أن تجبره على أخذ الأمور بجدية والقدوم لطرق الباب.

مرّت الأيام بروتينية، كل يوم يعودنا على الوضع أكثر من سابقه، وكانت سعادة سوسن وأهلها بمنزلهم الجديد تزداد. أعتقد أن هذه العائلة اجتماعية بالفطرة، فما لبث بيتهم أن تحول إلى نقطة التجمع المفضلة لمن حولهم، فمن التجمعات العائلية كل خميس وجمعة، إلى جلسات هتان وأصدقائه على البلوت والبلاي ستيشن والأفلام والقليل من المذاكرة، وأخيراً سوسن وصديقاتها وجمعات الوَدْوَدة ومناقشة مستجدات الميوزك والفاشن.

الكل كان سعيداً بتلك الجمعات.. باستثناء الوالدة. كانت كلما اكتظ البيت كلما ازدادت توتراً.. وازددت أنا تطبيباً لخاطرها.

لاحظت خلال تلك الجمعات -أقصد جمعات سوسن- أن إحدى صديقاتها لا تأتي إلا ورفيقها شنوش معها، شخص مبتذل تفوح تقاطيع وجهه خبثاً ومكراً. كان يرمقني شذراً كلما عبروا الفناء أثناء دخولهن وخروجهن. نسيت أن أوضح أن شنوش هو جني ساخر أدمن هو الآخر جمعات سوسن وصديقاتها.

لم آبه كثيراً بما يدور بينهن، حتى جاءت تلك الليلة الباردة التي شق سكونها صوت صراخ انطلق من غرفة سوسن، فقفزت على الفور مختلساً النظر من نافذتها نصف المفتوحه

لأجد صديقتها رهف تبكي بشكل هستيري والبنات يحاولن تهدئتها وشنوش مستلقٍ في وسط الغرفة وغارق في الضحك. لم أفهم الموقف مطلقاً ولكنني لم أتمالك أعصابي فهجمت على ذلك الدنيء صارخاً:

"إش سويت للبنت يا خسيس؟؟!!"

أجابني وهو يحاول التملّص من قبضتي دون أن يتوقف ضحكه المستفز:

"هلا والله بالجني المطوع.. جاي تدافع عن بنات الإنس؟ خايف يحرموك من بقايا الأكل اللي يرموها لك في الزبالة؟"

لم أتمالك أعصابي وأنا أعتصر جسده الهزيل:

"لو أشوفك هنا مره ثانيه والله لأقتلك!"

أفلت الحقير من قبضتي وفر إلى النافذة ورمقني وقد تحولت ضحكاته إلى ابتسامة ساخرة وقال:

"أقول خليك في حالك يا ملقوف، تدافع عن الإنس وهم أساس البلا! هذولا هم اللي يترجوني أجيهم وألعب معاهم.. أسألهم لو مش مصدق!"

وفرّ بسرعة تاركاً هلع البنات وحيرتي خلفه. اندفعت خلود تجاهي وهي تقول:

"تعالوا يا بنات لازم نصرفها!"

لحقت بها أريج وبقيت سوسن بجانب رهف تهدئها. رأيتهن يتجهن نحوي وينظرن تجاهي، فأصابني الرعب! فلأول مره أشعر أن أحداً منكم يراني، ولكنني اكتشفت أنهن كن يتجهن إلى تلك اللوحة الملقاة تحتي ووضعت كل من خلود وأريج إصبعها على ذلك القرص البلاستيكي على اللوحة، وبدأت خلود تقول بصوت لا يخلو من التوتر:

"مع السلامة.."

تحول توترها إلى خوف وهي تكرر:

"مع السلامة.. مع السلامة..!!"

كررت معها أريج وهي تحاول تحريك القرص تحت إصبعها المرتعش:

"مع السلامة.. مع السلامة يا دليمه..!!"

شهقت رهف وهي تراقبهن، توقف بكاؤها فجأه وهي تقول بهلع:

"شفتوا؟؟ شفتوا؟؟ الجنية اتلبستني!! أنا اتلمست، هي قالت رح تتلبسني!! أنا أتلمست!!!"

وسوسن تحاول تهدئتها:

"يا شيخة قولي أعوذ بالله من الشيطان، هذا كله لعب وكلام فاضي، معقول وحدة عاقلة ومؤمنة زيك تفكر كذا؟"

ولكن رهف استمرت تردد:

"أنا اتلمست!"

وكانت عصبية خلود تزداد وهي تهز ذلك القرص أسفل مني وتكرر مع أريج:

"مع السلامة! مع السلامة!!!!"

أعرف أن الاحتكاك بكم حرام لا محالة، ولكني في ذلك الموقف لم أستطع أن أمنع نفسي من التدخل لتهدئة الوضع، وجدت نفسي أمد يدي لا شعورياً تجاه القرص على تلك اللوحة التي تراصّت عليها حروف إنجليزية مع أرقام، وصورتي الشمس والقمر وبعض الكلمات: yes, no, goodbye ففهمت أنهن يردن إنهاء اللعبة فبدأت بتحريك إصبعي على القرص.. مع خلود وأريج.. ورُعبت أكثر منهن عندما تحرك وبدأ يحوم على اللوحة مع حركة يدي.. وحركته تجاه عبارة goodbye وحالما وصل إلى هناك سحبت يدي بسرعه وكأنما خشيت أن يصعقني ذلك الشئ إن استمريت بتحريكه. وشعر الجميع بالارتياح إلا أنا!

أعتقد أنني ارتعبت أكثر من رهف! قفزت نحو الشباك وعدت إلى المخزن بسرعة. لم أنم طوال النهار. لأول مرة في حياتي أحتك بكم يا إنس بشكل مباشر، لا أعلم إن كان ما عملته حرام أم حلال، ولم ولن أجرؤ أن أبين ذلك للوالدة، ولكنه شعور فعلاً غريب.

تسعون عاماً وأنا أراقبكم ولا أكاد أشعر بوجودكم.. واليوم تواصلت معكم وبشكل مباشر. قلت لكم كلمة واحدة: مع السلامة! وقررت ألا أقول غيرها!

(3)

وأخيراً عرفتيني يا سوسن!

لم أتمالك نفسي.. فسافرت على الفور إلى الهندبة (إحدى قرانا في شمال البحر الأحمر) لأسأل صديقي غرمان عمّا حصل في تلك الليلة.. غرمان حكيم جاوز عمره الثلثماءة عام، وله معكم يا معشر الإنس عِشرة طويلة وخبرة بحكم تنقله بين الكثير من بلدانكم وتعايشه معكم، حكيت له ما حدث معي ليلة البارحة فقال متعجباً:

"هذي لعبة الويجا! معقول عمرك ما سمعت عنها؟"

"ويجا؟؟! لا والله ما سمعت عنها!.. لعبة؟! معقول؟ دول كانوا مرعوبين وأنا كنت مرعوب أكثر منهم!!"

ضحك غرمان وقال:

"هذي لعبة قديمة بيننا وبينهم.. ياما لعبناها"

"معقول سوسن وصاحباتها يعرفوا يحضرّونا؟!"

"يحضّرونا؟! ياخي ليش تكبر الموضوع؟ المسألة أبسط من كذا بكثير.. في الويجا إحنا ما نحتك بهم بشكل مباشر.. أسمع يا حوجن، صحيح البشر محصورين في بعدهم الطيني، لكن أرواحهم تحس

بكل الأبعاد، لكن قليل منهم يميزوا هذا الإحساس، كل اللي بيحصل إنه باجتماع البشر وتركيزهم تزيد شفافيتهم الروحية، وبالتالي يزيد إحساسهم بحركتنا ويحركوا مضرب الويجا معانا.."

"يعني شنوش كان مفهمهم إنه جنية وبيتلبس صاحبتهم.."

"بدون شك!.. فيه كثير هوايتهم التسلية مع الإنس.. وتلاقيه كل مرة يألف لهم حكاية جديدة.. وهم يصدقوه."

عدت من الهندبة وفي خاطري هاجس وحيد لم أستطع مقاومته.. معقول أستطيع أن أتواصل مع سوسن؟! بدأت تلك الفكرة تسيطر على بالي، وكلما نفضتها تعاودني وتتملك وجداني بشكل أكبر، بالذات عندما أراقب سوسن قبل أن أخلد للنوم كل صباح وهي تسقي أزهارها وتغني لها وتكلمها.. ليتني زهرة على نافذتك يا سوسن.. أحيا على عذب مائك وأغانيك وهمساتك..

"حوجن؟ اش فيك مسرَح؟"

بتر صوت أمي من خلفي سيل خيالاتي.. فأجبتها مرتبكاً:

"أمي؟ مافي شي.. عادي.."

"حالك مو عاجبني يا حوجن، من يوم ما سكنوا الإنس بيتنا وإنت كل يوم تسهر لحد الليل.. قاعد تحوم حولين بنتهم.. مايصير!"

"يا أمي إنتِ عارفه إنه هذا بيتنا قبل حتى ما يولدوا ومو سهل أبعد عنه فجأه بعد كل هذي السنين.."

" حوجن، أنا أمك! لا تقعد تلف وتدور! ما يصير نكشف على عوراتهم في بيتهم، أصحك يا حوجن تقرب منهم.. أصحك! برضايه عليك يا حوجن.. أبعد عنهم..!"

"إش تقولي يا أمي.. من جدك؟ طبعاً مستحيل أقرب منهم.. إحنا ناقصين مشاكل الإنس فوق مشاكلنا؟!"

لم يهدئ كلامي سوى القليل من قلق أمي وهمومها، ولكن كلامها أشعل كل قلقي وهمومي! معقول؟ هل تعلقت بإنسية؟

لا لا مستحيل..! أنا الذي عرفت مئات الجنيات ذوات الحسب والأدب والجمال ولم تحرك أياً منهن ذرة من مشاعري.. أجلس تحت شرفة هذه الإنسية وأتأوه على غنائها لأزهارها؟؟!!

معقول؟ بعد أن كنت أشفق على عشاق الإنس الذين ملأوا مجالس الرقاة والمصحات ليتعالجوا من تعلقهم بالإنس.. أصبح أنا واحداً منهم؟! تذكرت عبارة عمتي عندما قلت لها:

"هل عشقك لذاك الإنسي يستحق أن تدمري حياتك وحياته؟!"

"ياحوجن الحب ما يفرق بين الإنس والجن."

حب؟ معقول أكون وقعت في حب إنسية؟ معقول أحبك يا سوسن؟

في عرفكم حب من هذا النوع يعتبر ضرباً من الخزعبلات.. حتى لو تجاوزنا الاختلاف الجذري في التكوين، مع استحالة التواصل، مع فرق السن الذي قد يشكل مشكلة بالنسبة لكم يا بشر (بالنسبة لنا هذا الفرق طبيعي.. فوالدي أكبر من والدتي باثنين وثمانين عاماً!).. لكني أعود وأكرر مقولة عمتي.. الحب فوق كل الفروقات!!

أقنعت نفسي، أو بالأصح أوهمتها أن القليل من الاهتمام والفضول والإعجاب لا تضر، وفي نهاية المطاف كل واحد منا في حاله، في عالمه المخفي عن الآخر، يكفي أن أراقبك يا سوسن من بعيد، أستمع وأستمتع بغنائك لأزهارك.

آه.. ولكن ما يمزق خاطري هو أنها لا تشعر بي، لا تدرك أنني موجود أصلاً انقطع حبل خواطري وأنا جالس في غرفة سوسن الخالية بين سريرها ومكتبها عندما انفتح بابها بشدة، ودخلت سوسن وأغلقت الباب خلفها بتوتر، وأسرعت تفتح كمبيوترها وتضع فيه اسطوانة أخرجتها من حقيبتها. انتقل توتر سوسن وقلقها إلي وأرغمني فضولي مرة أخرى على أن أقف خلف كرسيها وأراقب شاشة الكمبيوتر.. ظهرت صور سوداء على الشاشة استطعت أن أميز فيها مقاطع لدماغ بشري، وذلك بحكم دراستي حيث أننا نتطرق إلى دراسة التشريح البشري في مناهجنا. قلّبت سوسن الصور المقطعية للدماغ وظهرت تلك البقعة الباهتة التي لا تعني سوى أن صاحب ذلك الدماغ مصاب بورم مميت. التفتُ إلى سوسن عندما سمعت صوت بكائها الصامت، وكأنها تخشى أن يشاركها أحد مرارة أحزانها..

رأيت نهر دموعها يسيل على وجنتيها، ويهطل على الكمبيوتر وعيناها محدقتان في تلك الصورة على الشاشة. مددت يدي إليها، أعلم أنها لن تلمسها، مررتُ أناملي على وجنتيها، حاولت محاولة متأكد مسبقاً من فشلها أن أمسح تلك الدموع، رأيت يدها تعبر خلال يدي وهي تمسح دموعها، انتفضَت سوسن ونظرت خلفها وانتفضتُ أنا مع أني أعلم أنها لم تشعر بي، ورأيتها تطبق جهازها بعنف وتمسح ما تبقى من دموعها بسرعه وتركض نحو باب الغرفة تفتحه فقد أحست بقدوم والدتها، خرجت أنا بسرعة والتفتُ خلفي لأرى سوسن وهي تطفو من أعماق حزنها إلى قمة المرح وهي تحادث والدتها.

هل يعقل أن يكون الدكتور عبدالرحيم مصاب بالسرطان؟ لقد لاحظت حديثه المتكرر عن تقدم السن والآلام التي يعاني منها، كنت أظن أن كل تلك أعراض طبيعية لشخص عاش نضالاً مريراً لسنوات عديدة فقط كي يؤمن منزلاً لأسرته، ويرى أبناءه يكبرون أمامه ويستعدون لخوض معترك الحياة، كل من يصل إلى تلك المرحلة تبدأ لديه هواجس الكِبَر، ولكن لم أتوقع أن يكون الأمر بتلك الخطورة! كل تقديري واحترامي لك يا أيها الدكتور المناضل في زمن استأسد فيه السفلة والمتملقون.

لا أخفيكم أنني أصبحت أتحين الفرص لأتواجد بقرب سوسن، ولكني عاهدت نفسي أن أتحاشى الوجود معها وهي بمفردها احتراماً لخصوصيتها، وكنت أخون ذلك العهد أحياناً عندما أعجز عن مقاومة مراقبتها من بعيد وهي تمارس عادتها اليومية بتدليل أزهارها.

وكانت تلك الليلة عندما خرجت سوسن بصحبة زميلاتها أريج وخلود إلى كوفي شوب على الكورنيش، وكالعادة تغلب علي فضولي فتبعتهم إلى هناك، ترددت وأنا أنساب خلف سيارة خلود وكدت أن أعود أدراجي عندما تذكرت كلام أمي، ولكنني استمريت في ملاحقتهم، وعندما توقفت السيارة عند إشارة المرور اقتربت من نافذة السيارة الخلفية حيث تجلس سوسن وصديقاتها واختلست السمع والنظر إليهن وهن يتبادلن الأحاديث والضحكات عن المواضيع ذاتها: الأولاد ومغامراتهم.. وفجأة شهقت خلود التي كانت تجلس ناحية النافذة التي أنظر منها والتفتت نحوي مباشرة التفاتة أفزعتني لدرجة أنني انسحبت بسرعه.. سألتها سوسن:

"خلود؟ بسم الله عليكِ إش فيه؟"

"حسيت إنه فيه أحد يطالع علينا من الشباك!"

قاطعتها أريج بنبرة قلقة:

" أقول ريحينا يا خلود.. تري محنا ناقصين خزعبلاتك!!"

وتابعت سوسن:

"خلود تري من جد إنت بتتأثري بالأفلام اللي تشوفيها والمواقع اللي منتِ راضيه تسيبيها!"

لكن خلود كانت متأكدة أنها شعرت بشئ ما.. شعرت بوجودي!

"والله ما أمزح معاكم.. من جد حسّيت إنه فيه خيال واحد يطالع فينا واختفى فجأة!"

بدأت أريج تفقد أعصابها:

"بالله عليكِ لا ترعبيني.. يكفي اللي حصل لرهف ذاك اليوم.."

انتهى ذلك الحوار.. ولكن قلقي لم ينته، سمعت من قبل أن بعضكم يشعر بوجودنا، وقد يرانا..! يحكي لي بعض أصدقائي أن أبناءهم يلعبون مع بعض أبناء الإ نس،

والبعض كان يحلف لي أن هناك أناس يرونه.. على العموم الحجاب الذي بيننا لغز لا نعرف منه إلا الشئ اليسير.

نعود لسوسن وصديقاتها، تبعتهن إلى داخل الكوفي شوب المزدحم، وبدأت أشعر بالتوتر وأنا محاط بهذا الكم من البشر وأصبحت متوجساً من كل شخص ينظر نحوي بعد أن أرعبتني خلود عندما لمحتني من السيارة. لحسن حظي جلس البنات على طاولة بأربعة مقاعد، فجلست أنا على المقعد الخالي إلا من حقائبهن. وانشغلت بمراقبة سوسن التي كانت تختلف عنهن، فهي لا تشاركهن ذلك التفكير السطحي وإن كانت تجاملهن بابتساماتها وإيماءاتها وفي عينيها حزن لم يلاحظه أحد غيري. لم تهمني مواضيعهن إلى أن عادت خلود وفتحت سيرتنا.. أقصد سيرة الجن، أعلم أن قصص الجن تحمل لكم الكثير من الإ ثارة والمتعة والخوف أيضاً، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حديث مجالسكم!

وكما ذكرت لكم في بداية سطوري فقد سئمت من المبالغات الأسطورية الخزعبلاتية التي تضفونها إلى واقعنا! فكل من يلمح ثوباً على حبل الغسيل يدعي أنه رأى شيخاً طائراً بلحية بيضاء يشع النور من عينيه. لكنني بالرغم من ذلك لمست

الصدق في كلام خلود وهي تحكي قصصها والمواقف التي حصلت لها شخصياً، فقد كانت جميعها منطقية بالنسبة لي على الأقل. ومع اندماج سوسن وأريج مع قصص خلود فاجأتهم قائلة:

"إش رأيكم نلعب ويجا؟"

فأجابت سوسن بفضول:

"من جد؟ إنتِ جبتيها معاكي؟"

واعترضت أريج:

"أقول يا خلود روقينا الله يخليكِ ! أنا مِلكتي بعد شهر وماني مستعدة أقابل ابن الناس وأنا ملموسة!!"

ولكن خلود تجاهلتها وهي تقول:

"مو لازم أجيب البورد معايا، الجن موجودين في كل مكان ونقدر ندردش معاهم وقت ما نحب..!"

قالتها وأزاحت أكواب القهوة لتنتشل الورقة التي يفترض أن تكون وضعت كغطاء للطاولة، قلبتها على الجهة البيضاء ونادت:

"Excuse me please"

هرع إليها أحد العاملين وتعجب عندما طلبت منه قلماً فناولها قلمه، وبدأت تخط الحروف والأرقام على تلك الورقة، كنت متأكداً أن لوحة الويجا بذاتها لا تحمل أي تعاويذ، وأن فكرتها قد تطبَّق بأي أسلوب.

انتهت خبيرة الجن خلود من تجهيز لوحة الويجا البدائية، وجالت بعينها تبحث عن شئ ما، وابتسمت وهي تتناول قارورة الماء البلاستيكية من أمام أريج:

"عن إذنك.. حاستلف غطا القارورة.."

"إيه تبغي تعمليلي دنبوشي؟ وبعدين عمرك شفتي ويجا عربية؟ والله تطورنا.."

تجاهلتها خلود مرة أخرى:

"يللا يا بنات.. كل وحدة تحط صباعها.."

انتصر الفضول كعادته ووضعت كل منهن سبابتها على الغطاء المقلوب على الورقة.. وقادت خلود الجولة وهي تقول:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

أعتقد أن فضولي تقهقر هذه المرة أمام رعبي منكم، واحترامي لوعد والدتي..

"فيه أحد؟ فيه أحد؟ "

كررتها خلود.. وشاركتها أريج هذه المرة..

"شكلهم الجن مقاطعين ستاريكس!!"

قالتها سوسن فضحكت أريج وضحكت أنا معها.. ولكن خلود استمرت بإصرار:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

هذه فرصه قد لا تتكرر، أستطيع أن أتحدث إلى سوسن..! أن أخبرها من أكون، أن أخبرها أن عينيها أذابت الجن! وغناءها أسكرهم!!

"على قولك شكله فعلاً مافي جن هنا غيرنا"

قالتها خلود بعد أن يئست، فبادرتها أريج بعد أن رفعت إصبعها:

"يا شيخة إنتِ من جدك مصدقة هذي الخزعبلات؟؟ كله شيزوفرينيا يا ماما.. الجن مو فاضين لنا! هاتي غطا القارورة بس، شكله صار مدنبش!.. بيغالي أشرَب خطيبي من هذي القارورة عشان يطيح في دباديبي أكثر.. ويشوف البنات الباقين كلهم شبه هنيدي..!"

مددت يدي لا شعورياً إلى يد سوسن، كمن يتلقف التحفة الكريستالية الثمينة قبل أن تسقط، ولكنني لم ألحقها.. رفعت أناملها قبل أن أصلها. فبقيت يدي ويد خلود، حاولت جاهداً أن أحرك ذلك الغطاء تجاه كلمة (نعم).. حاولت وحاولت ولكن الغطاء لم يتزحزح..

"يابنات لازم نقول مع السلامة إحتياط.. يمكن فيه جني كدا ولا كدا؟ من جد ما بامزح..!"

تجاهلتها أريج التي انشغلت بالرد على اتصال خطيبها بدلال، ومدت سوسن يدها، فخفق قلبي (نعم عندي قلب) بعنف وعدت أحرك الغطاء بأناملي المرتعشة.. فتحرك..! تحرك الغطاء متثاقلاً تجاه كلمة (مع السلامة).. فاندهشت خلود وسألت على الفور:

"فيه أحد؟!"

حركت الغطاء تجاه كلمة (نعم) فترنح قليلاً على الورقة بين الحروف إلى أن شق طريقه نحوها..

ابتسمت خلود واتسعت عينا سوسن وفغرت أريج وأنهت مكالمتها:

"أقول لؤي أكلمك بعدين باي.."

ألقت هاتفها.. وهي تقول:

"بتمزحوا!! بلاش المزح الرزيل دا!"

أجابتها خلود:

"حطي صباعك معانا بسرعة.."

وضعت أريج سبابتها على الغطاء، فأحسست أن حركته أصبحت سلسة، وبدأ يطفو على سطح الورقة فوق كلمة (نعم)..

أعزائي.. أنا الآن أتكلم مع سوسن.. لأول مرة في حياتي..! ياترى ماذا أقول لها؟؟ أقول لها أنني جني؟..

أكبر سناً من جدها الذي توفي قبل خمسة عشر عاماً؟ وأسكن مع أهلي في بيتها؟؟!! ياله من موقف! ليتني لم أضع إصبعي، لولا أني خشيت أن أصيبهم بالهلع كما حصل المرة السابقة لعدم إنهاء اللعبة لرفعت إصبعي على الفور.. سوسن ماذا أقول لك؟ ما الذي يمكن أن يثير إعجابك بي؟ لم تمهلني خلود الوقت لترتيب أفكاري:

"ذكر وللا أنثى؟"

حركت إصبعي فانساب الغطاء على حروف اللوحة:

"ذ ك ر"

"إش اسمك؟"

هل أخبرك باسمي يا سوسن؟ ستستغربين، وقد تضحكين، هل أستعير اسماً بشرياً؟.. لا يا سوسن.. لن أخبرك سوى الحقيقة!!

"ح و ج ن"

"حُوجن؟"

نطقتها أريج بضم الحاء.. فأصبح فعلاً مضحك! فتحركت بسرعة نحو كلمة (لا) وعدت أرتب الحروف:

"ح و ج ن"

قالت أريج:

"ما قلناك حُوجن يا أخي.."

قالت سوسن:

"يمكن حَوجن مو حُوجن.. زي اسمي"

أصبت بالذهول..! يالغبائي..! لأول مرة أكتشف أن اسمي قريب لهذه الدرجه من اسمها، لقد سمعت اسمي منها وكأنما أسمعه لأول مرة في حياتي، وكأني ولدت للتو وأطلقت هي علي هذا الاسم، لقد عشقت اسمي.. نطقته سوسن.. خرج من بين شفتيها..!

أخرجني سؤالهن المشترك من احتفالي الذهني البسيط..

"اسمك حَوجن؟؟"

فقت من ذهولي وتحركت على الفور تجاه كلمة (نعم) وحُمت بالغطاء فوقها بسعادة ثم عدت مرة أخرى على الحروف:

"ح و ج ن س و س ن ح و ج ن س و س ن"

"الأخ طاح عندك.. جنية من يومك يا سوسن!"

قالتها أريج فأشارت إليها خلود بالصمت، وعادت تستجويني:

"كم عمرك يا حوجن؟"

أخ! هذا السؤال الذي لم أكن أتمناه أبداً.. ماذا أقول الآن.. قلت لهن العبارة التي افتتحت بها حديثي معكم:

"ش ا ب"

"90"

ضحكت أريج وهي تقول:

"هاهاي.. لوحة سيارة هذي ولا إيش.. والله هذا الجني فلّه!!"

حذرتها خلود بتوتر:

"مسختيها يا أريج.. هذا المزح ما ينفع"

"ما عليكِ، عندنا واسطة: القيرل فرند حقه سوسن.."

على قدر ما ضايقتني مزحتها الأولى، على قدر ما دغدغت مشاعري مزحتها الثانية..

واصلت خلود:

"عمرك تسعين سنة يا حوجن؟"

حركت الغطاء بخجل نحو (نعم) وقبل أن أصل مرة أخرى، نطقت سوسن أخيراً:

"متزوج؟"

تدخلت أريج:

"أكيد يا بنتي متزوج وعنده خمسين ابن وميتين حفيد.. بيقول لك عمره تسعين سنه!!"

قاطعت أنا أريج هذه المرة عندما حركت الغطاء نحو (لا) وقلبي يكاد يقفز من الفرحة، فسؤال سوسن يدل على أنها اقتنعت

بأنني لا زلت شاباً، أو هذا ما أحاول إقناع نفسي به! فعادت وسألتني بكل رقة:

"ليش يا حوجن؟"

ولثاني مرة أشعر أني أسمع اسمي لأول مرة، ولكن بم أجيب؟ أنقذتني أريج التي لا تكف عن المزاح:

"ليه؟ ما عندكم بنات جنيات حلوين زينا؟"

فأسرعت إلى (لا) ودرت عليها مراراً، فضحكن وعقَّبت أريج كعادتها:

"ألحقي يا سوسن البوي فريند حقك غزلنجي من أولها!! اسأليه يا خلود كيف شكله؟ فين ساكن؟"

أنقذت سوسن الموقف عندما أطلقت إحدى ضحكاتها الرقيقة وقالت:

"يابنات لازم نرجع بيوتنا، عندنا محاضرات الصبح بدري.. نسيتوا وللا إيه؟"

وافقتها أريج:

"وكمان المطعم كله بيتفرج علينا كأننا البنات اللي في مسلسل إنشانتند.. نقوم بكرامتنا أحسن قبل لا ينادوا لنا الهيئة.."

"مع السلامة يا حوجن"

مزقتني خلود عندما قالتها فاتجهت نحو (مع السلامة) ورفعت يدي، فتوقف الغطاء كالحجر..

"خلاص؟ أقدر أغطي قارورتي؟.. سامحني يا لؤي!!"

لملم البنات أغراضهن استعداداً للانصراف وقالت سوسن:

"أحسن نشيل الورقه دي لا يجي أحد يشوفها.."

أخذت الورقة ودسّتها في حقيبتها وتركتني في خليط مشاعري، بقيت في الكوفي شوب، وصوتها الرقيق يتردد في خاطري عندما نطقت اسمي، يتكرر بلا توقف حتى أشرقت الشمس.

(4)

إياد.. كم أكرهك!

أنتم (أيها الإنس) معقدون جداً في عواطفكم. أعتقد أنكم معقدون في كل شئ، وأعتقد أنني أصبت بالعدوى منكم. الأمور عندنا مباشرة وسهلة، كلما حاولت أن أفهم تراكيبكم العاطفية أفشل، تعيشون جنون العشق ولوعة الغرام طالما كان ذلك العشق خيالياً مستحيلاً، ويبدأ بالتلاشي عندما يتلاقى الحبيبان.. عندما يتعايشان.. عندما تنتقل علاقتهما من رسائل واتصالات آخر الليل إلى صراع حقيقي مع الحياة! هنا يتحول الحب في أحسن حالاته إلى روتين ممل. إلى لستة من الواجبات التي لا بد أن يؤديها الحبيبان، ويظلان يتباكيان على حرارة العشق القديم. أما العشق الأقل حظاً فيتحول إلى صراع وعناد وحرب ضروس للاستيلاء على مركز السُلطة.. تنتهي عادة باليأس ثم الفراق. ولكنني في حالات نادرة ألاحظ أن هناك إنساً يعرفون معنى العشق الأبدي، الحب الذي لا يعرف الأنانية ولا تزيده الأيام سوى اتقاداً، من تلك الحالات الدكتور عبدالرحيم وزوجته السيدة رجاء، عندما أراه يفتح لها باب السيارة ويدللها بنظراته حتى تستوى على مقعدها كالأميرة، ويغلق بابها برقة كأنه أحد نبلاء العصور الوسطى. أراها كل ليلة تدلك فقرات ظهره أكثر من الليلة التي قبلها مع ازدياد آلامه، يا ترى كم سنة مرت وهي على هذا الحال؟

أعتقد أن حباً حقيقياً كهذا جدير بأن يحتضن ملاكاً برقة سوسن.. آه.. عدنا إليك يا سوسن!

على فكرة.. بالرغم من أن سوسن نادراً ما تغادر خاطري، إلا أنني لا أراها إلا للحظات قليلة كل يوم، عندما تطل من النافذة لتداعب أزهارها، وعندما تعود هي من الكلية قبل أن أغادر أنا غرفتها (غرفتي سابقاً).

قبل أن تنتقل سوسن وأسرتها للسكن في هذا البيت كنت أنام عند الحائط المقابل للنافذة، أما الآن وقد احتلت خزانة ملابسها مكان نومي المفضل أضطررت لأن أغير مكان نومي وأصبحت أنام خلف الباب، أمضي وقتي عادة في المخزن الصغير في ركن الحديقة، أقاوم النوم إلى أن تنزل سوسن مع والدها ليوصلها إلى كليتها قبل أن ينطلق إلى مكتبه، فأتحين الفرصة وأصعد إلى غرفتها، أطارد ما تبقى من رائحة عطرها، أستمتع بتأمل أغراضها كما تركَتها قبل أن ترتبها الخادمة، سريرها، مكتبها، كوب الشاي الأخضر، لم أتجرأ يوماً أن أتدخل في خصوصياتها، يا ترى ماذا يخبئ كل ذلك الهدوء الملائكي يا سوسن؟ أتمنى أن أجول في خاطرك، أن أعرف فيمَ تفكرين، بم تشعرين، مالذي (أم من الذي) يشغل بالك؟

هذا دفترك أمامي، أخر من تتحدثين إليه قبل أن تذهبي إلى سريرك، وقد يكون المحظوظ الوحيد الذي تبوحين له بما يجول بخاطرك، الوحيد؟! ولم لا يكون هناك محظوظ آخر؟ أرعبتني هذه الفكرة! فبعد كل القصص والمغامرات التي سمعتها من صديقاتك، يصعب أن أصدق أن هناك مراهقة تحيا بلا مغامرة، مهما كانت المغامرة سطحية تافهة عابرة، يصعب أن أصدق أن هناك فتاة تحيا بدون قصة مع فارس، أو حتى نذل! لكنك يا سوسن مختلفة! وما يدريك يا حوجن؟ هناك من البنات من تخفي علاقاتها عن أهلها لسنوات! هذه الأفكار المرعبة تراودني، تشعل فضولي.. لا أنكر أنني تخليت - قليلاً - عن مبدأ الاكتفاء بالمراقبة عن بعد وبدأت أتطفل على شؤون سوسن الخاصة.

اسمه إياد..! هذا ما اكتشفته على الفور عندما اقتربت أكثر من خصوصيات سوسن، ففي تلك الليلة وبينما كانت سوسن تمضي ساعات الليل في المذاكرة بين كتبها وكمبيوترها، ظهرت رسالة في ركن الشاشة من شخص اسمه إياد:

"سوسن إنتِ أونلاين؟ كيفك مع المذاكرة؟ ما بازعجك..
بس إذا احتجتِ أي شي تري أنا سهران.."

لم ترد سوسن عليه، ولكنها ابتسمت ابتسامة أزعجتني، ثم عادت إلى مذكراتها، تلك الشامة السمجة المفضوحة من الشبان، التي لا يقدمونها إلا للبنات، والدلال والثقل المفضوح من البنات الذي لا يخفى أبداً على الشباب. لأول مرة أنزعج من سوسن! لأول مرة أشعر أنكم (يا أولاد الإنس) أصبتموني بالعدوى وأصبحت "أغار"!أغار من إنسي لا يتجاوز عمره ربع عمري اسمه إياد. قاومت الاعتراف بغيرتي من ابن الإنس في البداية، بررت غيرتي على أنها قلق على سوسن من الوقوع في براثن "الأولاد".. وذلك المبرر سوغ لي الاقتراب أكثر من سوسن بحجة حمايتها. وبصراحة، (والكلام موجه لكن يا بنات الإنس) أنتن في حاجة ماسة للوقاية والحماية من أولاد هذا الجيل! أتذكر في طفولتي كيف كانت الإنسية ملكة متوجة مصونة، يحميها أبوها وأخوها وقريبها وابن جيرانها وحتى الغريب بدافع النخوة والشهامة والرجولة والدين.. تلك الدوافع معرضة للانقراض في جيل أصبح أبناؤه لا يبالون إلا باللهث خلف غرائزهم على الرغم من هوسهم بفتاوى الحريم والتحريم.

بعيداً عن كل هذا اللغط، وعوداً إلى قصتنا، لم أستمرئ ذلك المدعو إياد.. لم أبلعه.. لم ينزل لي من زور.. تخيلته واحداً من عشرات الطلبة الذين تعج بهم كلية الطب يتملقون

ويتسامجون مع كل طالبة، يظنون أن رجولتهم اكتملت ولا زالوا يأخذون مصروف البنزين والساندوشتات من آبائهم.

اتخذت قراري بسرعة، ورافقت سوسن إلى الجامعة، لم تنم ليلتها بسبب انهماكها في المذاكرة، ولم أنم نهاري بسبب التفكير والحماس، ذهبَت ذلك اليوم مع السائق بسبب اختبارها المبكر، جلست هي في الخلف وجلستُ إلى جوارها، انهمكَت هي في المراجعة، وانهمكتُ أنا في مشاهدتكم، كانت بالنسبة لي تجربة جديدة، كنت أظن أنني الجني الوحيد السهران، ولكنني تفاجأت بكمية الشياطين التي تستيقظ معكم كل صباح، فزحمة الشوارع مسرح للكثير من المعاصي والمصائب، لا أعرف كيف تستحملون هذا البطء، نصف ساعة كاملة في الطريق، أستطيع أن أقطع البحر وأعود في نصف ساعة! وصلنا أخيراً إلى الجامعة، وكما تخيلت، أولاد وبنات الإنس يتخابطون في زوبعة التملّق والتغنّج.. كانت سوسن تحظى بتقدير كبير من زملائها وأساتذتها، كانت ألمع طالبة في الدفعة، استغلت تلك الساعات التي تقضيها زميلاتها في المكياج والإنترنت والأسواق والكافيهات والمكالمات، استغلتها في تحقيق هدف التفوق. لم أستطع تمييز إياد، كنت أمشي خلف سوسن وأتفرس نظرات زملائها، وأقرأ ما يجول

بخواطرهم، البعض يستلطفها، البعض يستجدي نبوغها، البعض يتسائل لم لا تغطي وجهها بالمكياج كصديقاتها وتكتفي بالقليل من الكحل والروج الوردي الذي لا يختلف لونه عن لون شفاهها.. حتى سمعت أحدهم يهتف من خلفي:

"سوسن كيفك؟ جاهزة للامتحان؟؟"

عرفت أنه إياد قبل أن ألتفت إليه من ابتسامة سوسن له وهزها لرأسها بخجل دون أن تجيب، شاب "كول" بكل ما تحمله الكلمة من معاني في قواميسكم، ليس من الشباب الذين خانتهم أذواقهم فتحولوا إلى مسوخ بالرغم من الملابس التي تسبق الموضة وجل الشعر، ولكنه مع وسامته وتلقائيته وبراءة ملامحه كان يعرف كيف يتحلى بالقدر الكافي من الأناقة. طويل، رياضي، يتعارض لون عينيه العسلي الفاتح مع سمار بشرته، وواضح من هندامه أنه مرفّه مادياً، باختصار يعتبر إياد فتى أحلام مثالي وعريس لُقطة لأي واحدة منكن يا بنات الإنس.

انتظر يا حوجن، ماذا أصابك؟ تقارن نفسك مع إنسي؟! مع فتى يستطيع أن يحقق سعادتها وأحلامها؟ يستطيع أن يتزوجها؟ أن يعيش معها؟ أن يصبح أباً لأبنائها؟..

وقبل هذا كله.. شخص تستطيع أن تراه وتلمسه وتتحدث إليه وترتمي بين أحضانه..! لقد تماديت في جنونك يا حوجن، دع بنت الإنس في حالها..!

رؤيتي لإياد أيقظتني من حماقتي، تركت سوسن في الجامعة وعدت فوراً إلى البيت، جلست بجوار أمي، أراقبها وهي نائمة، ونمت عند قدميها.

لم أنم نومة كهذه منذ فترة طويلة، نومة متواصلة بدون التفكير في سوسن، استيقظت بعد عدة ساعات، عقدت العزم على أن أعرض على والدتي مرة أخرى فكرة الرحيل من هذا المنزل، وقبل أن أفاتحها في الموضوع، لاحظت جلَبة في البيت، في غرفة سوسن بالذات، وتلاشت عزيمتي ونفحة العقل التي انتابتني أمام فضولي وعاطفتي. اقتربت من نافذة سوسن فوجدت صديقاتها حولها وهي مستلقية على السرير، فهمت من حديثهن أنها فقدت وعيها أثناء الامتحان! انتفضتُ وتحركت نحوها لا شعورياً، حمت حولها، ابتسامتك يا سوسن لا تنطلي علي! وإن اقنعت بها صديقاتك وأهلك.. أعلم أنك حزينة.. جداً..! ماذا حصل لك؟ لا أعلم لماذا لمت نفسي

على تركها في الجامعة، وكأني كنت سأستطيع عمل أي شئ لها!

قالت أريج لرفيقاتها:

"يللا يا بنات.. سوسن تعبانه ولازم ترتاح.. إحنا مسخناها صرنا نص الليل!"

ردت عليها سوسن:

"والله ما تروحوا..! خلونا نسهر مع بعض شويه، بكرة ما ورانا شي.. إنتو صدقتوا إني مريضة؟ دا كله دلع.."

تدخلت أريج بمرح:

"من جد؟ تري نصدق ونقلبها سهرة صباحي.. أنا نزلت شوية أفلام على كيفك!!"

وافقتها رغد:

"إش رأيكم نلعب لعبة الجن اللي حكيتوني عنها؟ مرة حماس.. نفسي ألعبها.."

ردت عليها أريج:

"لو كان قلتي قبل لا تروح المشعوذة حقتنا خلود.. هي اللي تعرف تحضرهم!!"

ضحكت سوسن وهي تقول:

"يخرب عقلك يا أريج.. خليتها مشعوذة؟ حرام عليكِ! هذي كلها ألعاب نفسية.. الورقة اللي رسمنا عليها الأويجي في المطعم عندي تحبي نجرب شوية شعوذة على قولك؟؟"

هتفت رغد بحماس طفولي:

"إيوه بليز بليز نفسي أجربها.. مرره أكشن!"

ردت عليها سوسن:

"شوفي تلاقيها في الدرج هناك.."

استغلت أريج الفرصة للسخرية:

"شكله البوي فريند حقك حنجن وحشك!"

"قصدك حوجن!!"

قالتها سوسن بضحكة أذابتني، لقد تذكرتني!! ولكن.. هل أكلمهن الآن؟ ماذا أقول؟ يجب أن أرتب أفكاري.. لم يمهلنني الوقت الكافي لألملم ارتباكي.. ففردن الورقة على السرير.. وخلعت أريج خاتمها وهي تقول:

"سامحني يا لؤي.. مضطرة أدنبشك مرة ثانية!!"

وضع البنات أصابعهن على الخاتم.. فوق الورقة.. وقادت سوسن الحديث هذه المرة:

"فيه أحد؟.. فيه أحد؟؟"

هرعتُ إلى الخاتم.. وضعت يدي عليه.. حاولت تحريكه.. ولم يحدث شئ.. واصلت سوسن:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

فهمست أريج:

"يمكن نايمين؟"

"رغد لا تضغطي بقوة.. يادوب لمس.."

استجابت رغد لسوسن فأرخت من ضغط اصبعها، وتحرك الخاتم أخيراً! حركته باتجاه (نعم).. وظللت أتراقص عليها من فرحتي وحماسي..

رفعت رغد إصبعها عن الخاتم مذهولة مذعورة:

"إنتوا بتحركوه!! احلفوا إنكم ما بتحركوه!!"

فصرخت فيها أريج:

"يخرب بيتك! حطي صباعك بسرعة لا نتلمس كلنا، يللا..!"

وضعت رغد إصبعها.. ولم أستطع مقاومة المبادرة بالحديث مع سوسن..

"س ل ا م ت ك"

قرأنها بذهول، لم تفتح إحداهن فمها، فمزقتُ أنا الصمت بصوت تحرك الخاتم على الورقة:

"س ل ا م ت ك ي ا س و س ن"

ابتسمت سوسن وهي تقول..

"الله يسلمك.. بس عرفنا بنفسك.."

قاطعتها رغد:

"تعرف كم حاجيب في الاختبار؟؟"

قاطعتها سوسن:

"محد يعلم الغيب إلا الله!"

قالتها وأنا أتحرك على الورقة نحو: (لا)!

أعادت سوسن سؤالها:

"إش اسمك؟"

أسرعت الزحف:

"ح"

قاطعتني سوسن:

"حوجن؟!"

هرعت إلى (نعم) وحمت عليها طرباً.. فقد سمعت اسمي منها مرة أخرى!! فتدخلت أريج برزالتها المعتادة:

"هم الجن انقرضوا وما بقي غيرك؟؟ هذا شكله قرينك يا سوسن.."

سألتني رغد:

"إنت فين عايش؟"

عايش فين؟ هل أرعب سوسن بالإجابة؟ لن أجرؤ!

"ا ل ح و ش"

"في الحوش؟ هنا في بيتنا؟"

"(نعم)"

حللت أريج الموقف بطريقتها:

"شكلك عجبتيه في الكافيه فرجع معاكي وقرر يعيش في بيتكم!"

"(لا) ه ن ا .. م ن .. ز م ا ن"

"معقول؟ طيب اش جابك معانا الكافيه؟"

قالتها سوسن.. فأجبتها:

"ف ض و ل"

علقت أريج مرة أخرى:

"ياسيدي يا سيدي.. والله جني تحفة! قلتلك مطيّح عندك ما صدقتيني!"

قاطعتها رغد بفضول:

"خلوني أسأله: أحد عايش معاك هنا؟"

"(نعم).. أ م ي .. ج د ي"

"أمك وجدك بس؟ مافيش جن وعفاريت غيركم؟"

"(لا)"

سألتني أريج:

"استنى شويه.. انت مو قلت لنا عمرك تسعين سنه؟ أمك عايشه؟ وكمان جدك؟؟ جدك كم عمره؟ ألفين سنه؟"

"420"

ونطقت سوسن أخيراً:

"إنتو مسلمين؟"

"(نعم)"

وسألتني رغد أكثر الأسئلة إحراجاً:

"تحب مين فينا أكثر؟"

تحركت بالخاتم باتجاه سوسن.. حتى خرج عن الورقة وسقط في حجرها.. لا أعلم إن كان ذلك أسعدها أم أفزعها.. أعادت سوسن الخاتم ببطء.. وأكدت رغد سؤالها:

"تحب سوسن أكثر؟"

ظللت أحوم حول (نعم) ثم تحركت للسؤال عن سوسن:

"س و س ن .. ك ي ف ك"

أجابتني سوسن بضحكة خفيفة:

"أنا بخير"

قالت أريج:

"ياختي عليه الجني حقك مرررره جنتل!"

استمرت أسئلة رغد الفضولية:

"طب.. تكره مين فينا أكثر؟؟"

بدون تفكير حركت الخاتم على الورقة:

"إ ي ا د"

سألتني سوسن:

"إياد؟ إنت تعرف إياد؟"

"(نعم)"

ماذا فعلت؟ يا لحماقتي!! اعترفت للتو بحبّي لسوسن، وغيرتي من إياد! لقد تسببت بالرعب لهذه المسكينة! أعتقد أن هذا يكفي..! توجهت بالخاتم لأختم هذه اللعبة وحمت على (مع السلامة.. فقالت سوسن بوجوم:

"مع السلامة.."

وتوقف الخاتم، وخرجت من الغرفة مسرعاً، وكأني أخشى أن ترى سوسن تعابير وجهي، لا أعرف لماذا ظلت تحدق في النافذة حتى بعدما خرجت، لقد تماديت بالفعل! تجاوزت كل الحدود، أشعر بالحنق من طيشي وغبائي..! ولكنني أعترف أن بداخلي لذة لم أشعر بها من قبل، لذة إعلام سوسن بوجودي بقربها، وبأنني أكن لها مشاعر خاصة، واعترافي بغيرتي عليها، لقد صنعت لنفسي وجوداً في حياتها، ويكفيني هذا!

خرجت من شباك سوسن بمشاعري المتلاطمة، لأفاجأ بوالدتي تقف أمامي في الحوش وجميع تعابير الحزن والغضب على وجهها..

"عصيتني يا حوجن! عصيتني!"

وتلاشت قبل أن تعطيني فرصة للحديث، وحتى لو أعطتني الفرصة، لم أكن لأجد كلاماً يبرر عصياني لأمرها لي بالابتعاد عن سوسن..

(5)

زعنام اللعين!

مرت تلك الفترة ثقيلة عصبية.. أمي لا تكلمني.. ولا أقترب من سوسن، حياتي بين البيت والعمل، أقبل رأس أمي كل يوم ولا تنظر إلي.. أنا متأكد أن طيبة قلبها ستتغلب على زعلها في النهاية.. ولكن هناك من أنهى ذلك الزعل بشكل أسرع، ففي ذات يوم عدت من الدوام وكعادتي ذهبت لأقبل رأس والدتي، ولكنني وجدتها واجمة.. سألتها:

"أمي؟ حصل شي؟"

لم تجبني، ولم تتزحزح تعابيرها فأعدت سؤالي:

"أمي؟ إش فيكِ؟ جدي حصل له شي؟"

أجابتني باقتضاب يحمل الكثير من القلق:

"زعنام.."

"زعنام؟ ولد عمي سنوطل؟ إش به؟"

"زعنام ابن عمك كان هنا! سأل عنك.. وسأل عن جدك!!"

زعنام؟ وماذا يريد مني هذا اللعين؟ زعنام هذا أخبث أبناء عمي..

شيطان متمرس في خدمة المشعوذين والكهنة وعبدة إبليس! يعيش حياة مترفة، ولا يبالي بأحد.. إلا نفسه! ماذا يريد مني يا ترى؟ انتزعتني أمي من شرودي وقالت:

"يبغاك تروح له ضروري!"

"أنا أروح له؟ مستحيل أطب قمَاح بعد اللي حصل لأبويه.. أصلاً ما بيني وبينه أي شي.."

تجاهلت موضوع زعنام، تكفيني همومي.. لكن على الأقل جعل أمي تخرج من غضبها وصمتها وتكلمني. مرت بضعة أيام روتينية ومملة.. حتى جاء يوم وتفاجأت بقط أسود ينتظرني في الحوش، هجم علي قبل أن أستوعب وتحول لابن عمي.. زعنام:

"تثقل علي يا ولد المطوع؟ تحسبني ما أقدر أوصل لك؟"

"زعنام؟ إش جابك؟ اش تبغى مني؟"

"إخص عليك! هذي مقابلة تقابل بها ولد عمك؟ كذا ربَاك أبوك؟"

تخلصت من قبضته والتفت عليه:

"لو جبت سيرة أبويه رح أقتلك يا نجس!"

ألقى بي بعيداً بكل سهولة واقترب مني وهو يقول:

"أنا برضه رح أكون أحسن منك.. وما برد عليك، مع إنه بإمكاني أطيرك لمكان ماحد يدري عنه!"

"إنت صرت مارد صح؟"

"على وشك.. أنا رح أصير عفريت بمساعدتك، وطبعاً مو ببلاش.. كله بحقه!!"

العفريت هو الجني الذي يملك قوى فيزيائية مادية، فيستطيع التحكم بكل شئ ويستطيع التشكّل، وإذا كان العفريت شيطاناً في الأصل فيسمى مارد! وهم درجات.. وطبعاً المارد الأقوى يستطيع القيام بأمور أصعب وبالتالي يجني الكثير من الأموال!

أحسست بثقل العالم كله على بطني و زعنام يدوس علي ببرود، يكتم أنفاسي ويتابع دون أن ينظر إلي، كان يتطلع إلى نافذة سوسن وهو يقول بكل برود:

"ما علموك أسيادك البشر ان الحب أعمى؟ وأنه لأجل الحب لا بد من التضحيات؟"

عرفت أنه يلمح لعلاقتي بسوسن، فحاولت أن أتملص منه وأنا أقول:

"إياك أن.."

ولكنه زاد من ضغطه وكتم أنفاسي وهو يقول:

"لا تكثر كلام يا مستأنس! باختصار يا تضحي عشان سوسن.. يا تضحي بسوسن!"

أزاح بقدمه لألتقط بعض أنفاسي وهو يقول..

"لا تخاف.. التضحية بسيطة جداً وما بتكلفك أي شي! ورح تعيش مع سوسن على إنك بشر من شحم ولحم وبالشكل اللي تتمناه سوسن، رح تصير فارس أحلامها الحقيقي! مو الوهمي الهلامي اللي ما يقدر يحميها ولا حتى يلمسها أو يكلمها.. سوسن إنسية، والإنس أكثر شئ يهمهم غرائزهم، يعني أتفه بني أدم ممكن يسعد سوسن أكثر منك! أنا عندي مفتاح

سعادتها وسعادتك.. تخيل تعيش معاها حياة حقيقية، وماحد يدري إنك جني، وتحقق لها كل اللي تتمناه، وتعيش معاها أروع قصة حب.."

بصراحة كلام زعنام أيقظ أحلامي ولكنني متأكد أن هذا اللعين يخبئ مصيبة! فقلت له محاولاً إخفاء انفعالاتي:

"والمطلوب مقابل هذا العرض المغري؟"

لم يتردد زعنام فقال وبكل وقاحة:

"دم إلياسين جدك!"

لا أتذكر تفاصيل ما حدث بعدها فقد ماجت بي الأرض ودخلت مع زعنام في عراك يائس غير متكافئ؛ لا أذكر منه سوى غضبي العارم وإصاباتي التي تركت آثارها الدائمة علي وكلمات زعنام الذي أبقى على حياتي لأنه يحتاجني لغرضه الدنئ.. وتلاعب بنقطة ضعفي الوحيدة: سوسن! قال لي وهو يطير مبتعداً ببطء:

"ياغبي جدك ما بقيله عمر يعيشه.. الموت أريح له من عذاب المرض، جدك من آل النفر.. تعرف إش

ممكن نحقق بدم آل النفر؟ كل أحلامنا بنحققها بسهولة.. نصير عفاريت.. نقدر نسوي أي شي.. وبعدين لا تنسى أصلك! لا تنسى إنه جدك اللي تدافع عنه هو اللي حرض أبوك على أهله! هو اللي خلا أبوك يتمرد على أجدادك ويعيش ويموت زي الشحاذ بين المستأنسين!"

قلت له وأنا أتألم من كل جزء في جسمي:

"يعني إنت فخور بموتة أبوك؟ لقي عذاب الدنيا قبل الآخرة ونسفه الشهاب وهو في أقذر عمل!"

لم يعلق زعنام على ما قلته واكتفى بالابتسام واختفى في لحظة وتركني في حالة من الرعب والذهول.

لم أستطع الذهاب لعملي ذلك المساء، أقعدتني آلامي وهمومي. مكثت جوار جدي إلياسين، الذي كافح لخمسة قرون، لا يمكنكم (أيها الإنس) تخيل وتيرة الأحداث التي نمر بها نحن الجن، فحياتكم مقارنة بحياتنا قصيرة جداً وأحداثها متسارعة، بالرغم من أننا أسرع منكم في التنقل إلا أن عامل الوقت بالنسبة لنا لا يشكل نفس الهاجس بالنسبة لكم..

نراكم كما نرى فيلماً قصيراً يعرض بالحركة السريعة.. لا تتفاجأوا إذا قلت لكم أنني عندما ولدت كانت حياتكم لا تختلف عما كانت عليه قبل آلاف السنين! فلم يكن هناك تلفزيون ولا راديو ولا سيارات ولا طائرات ولا كهرباء.. كنتم مازلتم تتنقلون على الجمال والحمير، حربكم العالمية الأولى قامت بعد ولادتي، وفي الحرب العالمية الثانية مررت بطائراتكم وهي تقصف بعضها وتتساقط كالجراد أثناء عودتي مع والدي من زيارته للإمبراطورية (جزر اللعين) قبل أن يتفاقم الخلاف بينه وبين أعمامي.. كل الإنس الذين أعرفهم في عمري ماتوا، وأحفادهم بالنسبة لي عجائز.. كل هذا في أقل من قرن.. فتخيلوا ماالذي سأحكيه لأحفاد أحفاد أحفادكم عندما أصبح في عمر جدي! لقد شهد جدي إلياسين حقبة من تاريخكم، لقد كانت حياته مرتبطة بكم إلى حد كبير جداً، فقد ولد في مدآن (كانت إحدى أعظم بلداننا في شمال البحر الأحمر) وذلك بعد أن انتقل جده إلى تلك المنطقة لنشر تعاليم الدين الإسلامي. لكم أن تتخيلوا، فقد عاش جدي ثلث التاريخ الإسلامي بأكمله، والد جده كان من النفر الذين تلقوا القرآن مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم!

طافت بي كل تلك الخواطر وأنا جالس أمام جدي أتأمله، كان مستلقياً كعادته، لا يتحرك فيه سوى شفتاه.. تتمتمان بالذكر الذي لا ينقطع.. كان ينظر إلي من الفينة للأخرى نظرات اخترقتني، وكأنه يعرف ما أفكر فيه. كنت أتمنى أن أستشيره ليخلصني من زعنام، ولكنني بالطبع لن أجرؤ أن أخبره بذلك! لا يستطيع زعنام أن يضر جدي بشكل مباشر، فوالدتي تحصنه بشكل دائم، كما أن جريمة كهذه قد تقوم بسببها حرب طاحنة بين العائلتين، لذلك جائني لأعاونه على تدبير قتله بحيلة لا تثير الشبهات.. هذا الموقف جعلني أكره نفسي، فهأنذا أعرِّض جدي ووالدتي وأعرض سوسن لأكبر خطر بسبب حماقتي، بكيتُ وقتها، لا أذكر أنني بكيت هكذا من قبل، أحسست بيد جدي تمسح على رأسي، لأول مرة من سنين ويشير إلى السماء وهو يبتسم. وشفتاه لازالتا تتمتمان..

(6)

انتقام أمي

أعتقد أن والدتي يئست من الحديث معي بخصوص سوسن، أما أنا فأعترف أنني أخلفت وعدي لها بجدارة، فلم أستطع (بسبب حماقتي واندفاعي خلف عواطفي) أن أضع حداً لهذا الوضع، بل بالعكس، أصبحت مهووساً أكثر بسوسن. أصبحت أفكر ليل نهار في التقرب منها، في إيجاد وسيلة للتحدث إليها وإمضاء الوقت معها. أما والدتي فقد أثر موقفي في نظرتها للبشر ولعائلة الدكتور عبدالرحيم بالذات. لقد أصبحت تمتنع عن تناول الباقي من طعامهم، وصعدت للسكن مع جدي في سطح المنزل لتتحاشى رؤيتهم. ليس ذلك فحسب، بل بلغ بها كرهها لهم أن كادت أن تفضح وجودنا لتنفرهم من البيت! لا أنسى تلك الليلة عندما عزمت سوسن صديقاتها وأقامت حفل دي جي في سطح البيت. عدت فجرها إلى البيت لأسمع الموسيقى الصاخبة قبل أن أصل للبيت، وسمعت صوت والدتي تصرخ. انطلقت مباشرة للسطح لأرى سوسن وصديقاتها يرقصن على أغاني الدي جي ووالدتي بجوار جدي في ركن السطح تصرخ:

"خلاااااص خلاااااص.."

وفجأة توهجت أضواء الحفلة واحترقت دفعة واحدة بفرقعة مكتومة، ومع صوت احتراق الإضاءة وذلك الصوت المدوي في سماعات الدي جي الذي أعقبه صوت صفير حاد بسبب المايكروفون..

ومع النيران التي اشتعلت في جزء منها.. تحولت نشوة البنات العارمة إلى حالة من الرعب والصراخ وسوسن تحاول تهدئتهن، وهرع الدكتور عبدالرحيم وهتّان للسطح إثر الصراخ..

لا أصدق أن والدتي فعلت ذلك، لم أكن أعلم أن لديها تلك القدرة! لقد رأيتها تبكي بحرقة ويغضب بعد أن تبعثرت الحفلة وغادر الجميع. قلت لها:

"إيش سويتي يا أمي..؟!"

انغلق باب السطح خلفي بعنف وأصدر دوياً مزعجاً، وكان ذلك ردّها.

" أمي.. إنتِ عارفه إنه تطفيش الإ نس من بيوتهم حرام.. ما يرضي الله!"

ردت علي بانفعال ودموعها مازالت تنهمر:

"يعني اللي يسووه فينا حلال؟ شايف كيف صار حالنا؟ شايف وضع جدك كيف يتدهور؟ شايف تصرفاتك؟ يعني كل هذا يرضي الله؟!"

حاولت احتضانها وامتصاص غضبها، ولكنها أشاحت عني. أعلم أنها ندمت على ما فعلته في قرارة نفسها، ولكن كيف أسترضيها..؟ لقد كان قلبي يتقطع من حزنها وخوفي على جدي ولهفتي على سوسن!

ستتولى الأيام تهدئتها، وستعود المياه إلى مجاريها. أمي وأنا أعرفها. أتمنى أن لا تكون هذه محاولة بائسة مني لتهدئة نفسي. قلقي لم يسمح لي ولا حتى بغفوة، ودفعني في صباح اليوم التالي إلى التمركز بجوار سوسن لأعرف ردة فعلها وفعل أسرتها وأصدقائها لما حصل. وكانت ردود الأفعال تلك متباينة لأبعد حد، فالدكتور عبدالرحيم يصر على أنه حادث عارض والتماس كهربائي عادي، لا أدري إن كان ذلك بسبب هدوئه وحكمته، أم لأنه لا يستطيع أن يستوعب أن بيت أحلامه الذي تفتتت عظامه قبل أن يمتلكه قد أمسى مسكوناً بالعفاريت. أما صديقات سوسن فقد بالغن في تهويل الموقف

وأضفن إليه الكثير من البهارات وربطنه بما حصل من قبل أثناء لعبهن للويجا وراجت بينهن قصص منزل سوسن المسكون وتلبس سوسن بالجان. حتى سوسن نفسها بدأت تقتنع بأنها محاصرة بالجان الذين يريدون إيذاءها.

مر يومان، وإذا بالدكتور عبدالرحيم يأتي وبرفقته شيخ ما لبث أن بدأ يقرأ بآيات من القرآن الكريم وينفث الماء في أركان المنزل وبالذات في السطح، آلمني منظر أمي وهي تبكي بجوار جدي، هل يعقل؟ شيخ من علماء آل النفر يتعوذون منه كما يتعوذون من الشياطين وينفثون عليه الماء..! كادت أمي من مرارتها وغضبها أن تغلق باب السطح بشدة بعد خروجهم ولكن جدي نهرها بنظرة صارمة. هممت بالانصراف، فوجودي يلهب جراح أمي المسكينة وحساسيتها تجاه الإنس، ولكنها نادتني، تفاجأت فلم أتوقع أن تكلمني أمي ببساطة بعد كل ما سببته لها:

"أبغاك يا حوجن لا تروح!"

سبقتني إلى الباب، فتبعتها ونزلت حتى خرجت من البيت وأنا أتبعها دون أن ينطق أحدنا بكلمة. أسرعت أمي الخطا، فأصبت بالقلق عليها:

"أمي إش فيكِ؟ تعبانه من شي؟"

"أسكت وتعال وراي!"

وجدت نفسي بعد دقائق وقد ابتعدت عن معالم المدينة إلى سفح جبل لا يسكنه إنس ولا حتى جن، فجلست أمي جوار آثار لمجرى مائي من الواضح أنه لا يذوق طعم الماء سوى لأيام معدودة في موسم الأمطار ثم يعود لصيامه.. جلست أمي تحت صخرة من صخور الجبل وبدأت تحرك يدها على الرمال..

"أمي أنا عارف إنك زعلانه مني بس والله ما كان..."

صدمت عندما رأيت الرمال تتحرك تحت أناملها، فنحن لا نستطيع التفاعل مع عالمكم بشكل مباشر، لا أعرف كيف يمكنني تبسيط الموضوع لكم، ولكن نحن لنا عالم موازٍ لعالمكم بنافذة من جهة واحدة، حيث نراكم ونسمعكم ونتفاعل بشكل محدود مع عالمكم في الوقت الذي لا تستطيعون أن تشعروا بأي شئ في عالمنا، أعدكم بأنني سأشرح لكم ذلك بمزيد من التفصيل لاحقاً ولكن دعونا الآن نعود إلى أمي، فبدون أن تنطق بكلمة أرادت أن تخبرني بأنها عفريته، أو بأنها تتمك

بعض قدرات العفاريت، وهذه خاصية لا يمتلكها إلا عدد محدود من كبار الجان، ولا أعرف طريقة لاكتسابها سوى بالتعاون مع مردة الشياطين الذين يفرضون شروطاً تعجيزية لتحقيق ذلك الطلب الشاق والذي يفقد الكثير من الجن أرواحهم قبل حتى أن يبلغوه..

قاطعت أمي حبل أفكاري قائلة:

"أنا ماني عفريته.. بس أبوك قبل لا يموت علمني أحمي نفسي من الإنس.."

سبحت ببصرها في أنحاء الوادي واكتست نبرتها حنيناً وهي تقول:

"هنا قابلت أبوك أول مرة.. مية سنة مرت زي الطيف.."

أصغيت إليها، أعتقد بأنها ستكشف لي تفاصيل قصة ارتباطها بوالدي التي أخفتها عني طوال السنين الماضية..

"كانت قريتنا ورا الجبل، وكنت أحب أجي هنا لوحدي يوم السيل ألعب وأتفرج، حياتنا كانت بسيطة، ما كنا

نشوف جنس البشر إلا من بعيد لما يمروا المسافرين في الوادي. في ذاك اليوم كان السيل قوي، وسحب الحجرة اللي كنت واقفة عليها وسحبني معها، وشفت الموت بعيني!"

"بعيد الشر عنك يا أمي.."

تابعت وكأني غير موجود أمامها.. وكأنها تعيد شريط تلك الأحداث أمام عينها التي أمطرت بدورها بالرغم من ابتسامتها وهي تقول:

"فتحت عيني لقيت أبوك.. ما أدري وقتها فرحت عشان انكتب لي عمر جديد، وللا اترعبت لأني تحت رحمة مارد! إيوه أبوك كان مارد! أخطر من أخوانه كلهم! أبوك كان شيخ المردة بعد ما مات جدك، كان يقدر بسهولة يقدمني للمذبح من غير ما يدري أحد من أهلي ويحسبوني انجرفت في السيل.. أنا السبب في إنه أبوك تمرد على أعمامك وعلى قبيلتكم كلها! ضحى بكل شي عشاني! ترك منصبه وعالم المردة والشعوذة وحارب الدنيا كلها عشان يعيش معايه.. يادوب نحصل قوت يومنا"

هذه صدمة لا أقدر على استيعابها! والدي كبير المردة؟! وحارب أهله من أجل عشقه لأمي!! تابعت أمي وهي تمشي في بطن الوادي والهواء يثير الغبار إثرها..

"أبوك مافي زيه، تعرف كم واحد من النفر تقدم لي وجدك رفض؟ وزوجني لأبوك! عشان كذا آل النفر هجروا جدك! قالوا له كيف ترفضنا وتزوج بنتك لشيطان مارد؟ كان يقول لهم هذا المارد تاب توبه تخليه أقرب لله مننا إحنا!"

توقفت أمي فجأة والتفتت إلي:

"إنت اللي باقي لي من ريحة أبوك، كأني شايفاه قدامي! حتى في طيشك وجنونك وعواطفك. بس لازم تعرف شئ مهم: الحب خلى أبوك يضحي بعالم الكفر والمناصب وبأهله كلهم عشان يحافظ علي، وإنت الحب بيخليك تضحي بأهلك ونفسك وحبيبتك كمان عشان طيشك، ولا رح تقدر تعيش مع بنت الإنس ولا تحميها ورح تضيع مستقبلها! قل لي كيف تقدر تتواصل معاها؟ ولا ناوي تكفر وتعيش في قمّاح عشان الشياطين يخطفوها لك وتضمن جهنم؟ تعرف

إش الفرق بينك وبين أبوك يا حوجن؟ أبوك حبني بشهامة.. وإنت بتحب الإنسية بنذالة. أبوك آمن لمن حبني.. وإنت الإنسية رح تكفّرك!"

وماذا عساني أن أجيبها؟ هذه أقسى كلمات سمعتها من أمي في حياتي..

"حوجن.. أدفنّي هنا!"

"هاه؟"

"وصيتي تدفني هنا لمن أموت يا حوجن! لمن أموت أدفني هنا.. عند هذا الشجر.. جنب أبوك."

"أبويه مدفون هنا؟ طيب قبر مين اللي بأزوره من ثلاثين سنه؟"

"لو أعمامك عرفوا مكان قبره كان أخذوه ودفنوه عندهم، عشان كذا محد يعرف مكان قبره الحقيقي غيري، حتى جدك ما يدري. أنا دفنته هنا."

اقشعر بدني وأنا أراها تجثو على ركبتيها في مكان من الواضح أنها تحفظه عن ظهر قلب، وبدأت بالنحيب..

"آآآه يا ميحال.. ليه سبتني ورحت؟ آآه يا ليت يومي كان قبل يومك! ليتني أموت دحين وأرتاح من الدنيا وهمَّها!"

"يا أمي قولي لا إله إلا الله.. خلاص أنسي موضوع الإنس، نشيل أغراضنا ونعيش في أي مكان.."

"ربي يصبرني على فراقك وعلى الدنيا من بعدك يا ميحال.."

بترت نحيبها فجأة واعتدلت:

"جدك! ما نقدر نسيبه لوحده كل هذا الوقت.."

أسرعت عائدة إلى البيت وكأن حدسها نبأها بأن جدي في خطر، وأسرعتُ خلفها. وعند برميل النفايات بقرب الڤيلا رأيته! رأيت زعنام. قط أسود تفوح نظراته خبثاً وسخرية، أعرف ما يصبو إليه، كنت أتمنى أن أفصل عنقه عن جسده، ولكنني لا أستطيع لمسه وهو متشكل في عالمكم.

لاحظَت أمي وجوده فاقتربت منه وحاول هو محاولة فاشلة لإخفاء خوفه منها خلف ابتسامته الساخرة.. قالت له:

"إش عندك يا ولد سنوطل؟!"

"كيف عرفتيني يا بنت النفري؟"

"عمك علمني أشياء كثير.. ما تخطر على بالك!"

تحرك بسرعة خلف صندوق النفايات وخرج من الجهة الأخرى وهو بهيئته الأصلية، لقد فهم مغزى أمي، فهي قادرة على قتله بسهولة وهو متشكل، فالمتشكل لا يقدر إلا على فعل الأشياء التي يقدر على فعلها الجسد الذي تشكل به، إلا لو كان عفريتاً أو مارداً بالطبع، لذلك يفضل المتشكلون التحول إلى أفعى أو قط أو كلب كل على حسب قدراته، وهذه حيوانات غير معرضة للافتراس وبالتالي تقل المخاطرة.. ويفضلون اللون الأسود لأنه الأسهل ولأنه يثير الرهبة فينفر منهم الناس. إذا أردتم أن تعرفوا الجني المتشكل فانظروا في عينيه مباشرة، فنظرة الجني تختلف عن نظرة الحيوان العادي ويمكنكم تمييزها. نعود إلى زعنام الذي عاد إلى هيئته خوفاً من أمي التي شك في كونها عفريته:

"سمعت إنه فيه هنا بيت مسكون بالعفاريت، قلت أجي أسأل بكم الإيجار.."

انقضضت عليه لسخريته الفجة من أمي التي أزاحتني وأنا أحاول القبض على عنقه:

"احترم نفسك يا نجس! أنا قلت لك رح أقتلك لو قربت هنا مرة ثانيه!!"

أعتقد أنه تحاشى الاصطدام بي خشية من أن نرديه أنا وأمي ولكنه استمر في سخريته قائلاً

"عيب يا ولد! لما الكبار يتناقشوا.. المراهقين يقعدوا ساكتين.. خليك إنت في حبيبة القلب!"

كانت أمي محافظة على هدوئها وصرامتها وهي تقول:

"باقول إش عندك يا ولد سنوطل؟!"

"أنا جاي هنا في بزنس خاص، فيه مشروع لساحر انطلب مني في هذا البيت."

لأول مرة أسمع أمي تدافع عن أسرة الدكتور عبدالرحيم وهي تقول:

"كذبت يا نجس! أهل هذا البيت أنظف منك ومن سحارك!"

" كل هذي الثقة الزايدة في الإ نس؟ من جد ضحكتيني، بكرة تشوفي بنفسك! وساعتها محد يقدر يمنعني أدخل البيت لو أصحابه هم اللي طلبوني."

هم بالمغادرة والتفت إلي ليلقي بعبارته القذرة:

"لا تنسى يا ولد عمي، لو احتجت أي خدمة مع الإنسية أنا تحت أمرك!"

قالها ليفجر التوتر بيني وبين أمي وانصرف اللعين.

صعدنا بسرعه إلى جدي لنطمئن عليه، وعندما وجدته نائماً تركت أمي عنده ونزلت إلى غرفتي في الحديقة، أحاول ترتيب أفكاري واستيعاب ماسمعته وشاهدته اليوم.

(7)

سوسن والسرطان

دعت سوسن صديقاتها في تلك الليلة، ربما لتثبت لهم أن بيتها خالٍ تماماً من العفاريت، كانت عزومة محدودة لم تتجاوز البضع فتيات قضين معظم الوقت في غرفة سوسن، وكن يتحاشين الخوض في مواضيع الجن خشية أن يجرحن مشاعر سوسن، أو رعباً من أن يطلع لهم العفريت من خلف الستارة، مع أن الفضول كاد أن يفضح بعضهن، ولكن سوسن، وبكل شجاعة فتحت الموضوع، وكأنها تعالج الإشاعات بالبتر:

"بنات.. أنا قررت أسأل الجن إيش اللي زعلهم مننا ذاك اليوم"

فهمت أريج مغزاها فأرادت أن تجنب سوسن الإحراج وتجنب نفسها الرعب:

"سوسن، ماله أي داعي، خلاص شغلوا شريط سورة البقرة وتنحل المشكلة.."

لم تسمح لها خلود بتضييع فرصة تلك المواجهة فقاطعتها:

"لو ما كانوا جن كويسين كان انبسطوا معانا في الدي جي! أكيد فيه سبب.. الحل الوحيد إننا نواجههم! سوسن جيبي ورقة من الطابعة.."

وبدأت خلود فوراً في رسم لوحة الويجا.. مع تذمر أريج وتوتر باقي البنات. لا أدري لماذا أحسست بتلك اللذة الخفيفة بالرغم من كل ذلك التوتر الذي كان ينتابني أنا أيضاً.. هل لأني سأكلم سوسن مرة أخرى؟ ولكني لم أرتب أموري، ماذا أقول؟ هل أستغل الفرصة وأعترف لها بعشقي المجنون؟ سيرعبها ذلك بالتأكيد!!.. ومرة أخرى لم يمهلنني البنات لأفكر فبدأن..

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

أعلم أنني لو لم أجب فسيتوقفن..

"و ح ش ت ي ن ي"

يا إلهي ماذا فعلت؟! لم أستطع أن أقاوم الفرصة! وأصيب الموقف كله بالشلل قبل أن تعيد فيه سوسن الحياة وهي تقول:

"حوجن؟"

"نعم"

همَت خلود بالبدء في طرح أسئلتها، ولكنني لم أمهلها لتقاطع حديثي مع سوسن:

"س ا م ح ي ن ي"

"ليه سويت كذا؟ إحنا آذيناك في شي؟"

"م ش.. أ ن ا"

لم تستطع خلود كبت فضولها فسألتني:

"فيه جن غيركم في البيت؟ فيه شياطين؟"

"لا"

"ج د ي ت ع ب ا ن"

"أ م ي ز ع ل ت"

"م ا ك ا ن ق ص د ه ا"

شعرت سوسن بشيء من الطمأنينة، وردت علي بكل حنان:

"سامحنا، حقك علينا، وأتأسف لنا من أمك وجدك"

"ك ي ف.. ح ا ل ك؟"

لم تفوت أريج فرصة الرزالة فعلقت قائلة:

"ياسيدي ياسيدي!! الجني حقك غرقان، ايش رأيكم نسبلهم الويجا عشان ياخذو راحتهم؟ "

وتركت أريج قطعة البلاستك فأصبحت حركتها غاية في الثقل، ولكن مالبثت أن عادة لسلاستها، فأحببت أن ألطف الأجواء، وأتقرب أكثر من سوسن:

"ق ل ق ت.. ع ل ي ك"

"ل ا.. ت خ ا ف ي"

"أ ن ا.. م و ج و د"

لاحظت خلود حركة القطعة البلاستيكية بالرغم من أن أريج تركتها، فقالت:

"والله فكرة يبغالنا نجرب شخص واحد يحركها، سوسن شيلي صباعك خليني أحاول أحركها لوحدي.."

رفعت سوسن إصبعها فتوقفت قطعة البلاستك كالحجر، بالرغم من أني كنت أحاول جاهداً، فلو نجحت التجربة سأتمكن من الحديث مع سوسن دون الحاجة إلى تجمع صديقاتها..

"خلود خليني أنا أجرب لوحدي، بما إنه حوجن قلقان علي أنا يمكن ما يبغى يكلم أحد غيري على انفراد؟"

ووضعت سوسن إصبعيها على قطعة البلاستيك وقالت:

"حوجن إنت موجود؟ تقدر ترد علي؟"

حاولت جاهداً.. أحرك يدي على القطعة ولكن لا شئ يحصل، أتمنى أن تنجح روحها في استشعار حركتي ودفع قطعة البلاستيك معي، في العادة روح واحد لا تكفي للشعور بنا، لذا فإن حركتها دائماً تكون أسهل عندما يزداد العدد..

حاولت وحاولت، هاهي كلمة "نعم" لا يفصلها عني شئ.. أغمضت سوسن عينيها لتستجمع تركيزها، وتحركت القطعة أخيراً نحو "نعم" فاندهش الجميع وعلى رأسهم أريج:

"سوسن حرام عليكِ من أول بتحركيها وسايقة علينا قصص الغرام مع الجن؟ أنا انشلّيت من الرعب!"

"والله ما حركتها هي تحركت!.. حوجن إنت هنا؟"

"نعم"

"أن ا.. ب أ ح ر ك ه ا"

"س و س ن"

"أ ب غ ا.. أ ت ط م ن.. ع ل ي ك"

"لا تـخاف أنا كويسه وزي الـعال، والحـمدلله إنه اتصافينا وانتهت المشكلة"

"أ ب غ ا.. أ ك ل م ك.. د ا ي م ا"

ساد صمت مغلف برعب، فاستدركت كي أطمئنها:

"ل ا.. ت خ ا ف ي.. أ ن ا.. م س ل م.. أ خ ا ف.. ر ب ي"

وطمأنتني سوسن بدورها:

"كيف أخاف من جاري؟ حاكلمك كل ما ألاقي فرصة"

تزاحمت الأفكار والعبارات في ذهني، وكأنني لم أصدق أنني أتحدث مع سوسن.. سوسن فقط! وبدأت أحرك إصبعي على اللوح بتوتر بالرغم من أن قطعة البلاستك لم تستجب لذلك التوتر واستمرت في انسيابها السلس البطئ.. فازداد توتري وكأني أخشى أن تتبخر أفكاري قبل أن أبوح بها.. وكأني أخشى أن لا تتاح لي فرصة الحديث مع سوسن على انفراد مرة أخرى!

"ب ك ر ة.. م ا.. ع ن د ك.. م ح ا ض ر ا ت.. ص ح؟"

كنت على يقين أن أريج ستتطفل، ولكن تطفلها كان في مصلحتي هذه المرة:

"لا لا لا ذس إز توو متش! خلونا نمشي يا بنات قبل لا حمنجن يسلط علينا العفاريت يكرشونا من هنا!"

احمرت وجنتا سوسن خجلاً وارتبكت وهي تقول:

"أريج بطلي بياخة..!"

فحسمت خلود الموقف لصالحي وهي تقول:

"أنا سواقي وصل من أول، لازم أمشي.."

وتبعتها أريج وهي تخاطبني بصوت مرتفع وتنظر لسقف الغرفة:

"حمنجن.. بليز نقّل سوسن نتايج امتحاناتنا.. وأوعدك أشبكك مع كل بنات الإنس!"

بادر البنات بالانصراف وهمت سوسن بمتابعتهم لتوصيلهم للباب ولكن خلود قالت لها في صرامة:

"انتبهي تشيلي يدك عن الغطا بدون ما تقولي مع السلامة!"

أنا الآن مع سوسن، في غرفتها لوحدنا، أستطيع أن أتحدث معها بشكل مباشر، أعبر عن مشاعري، وأهيم بمشاعرها! مرت فترة صمت.. يدي ويدها على قطعة البلاستك، الابتسامة على وجوهنا، والتوتر بين دقات قلوبنا المتسارعة..

"حوجن؟ إنت لسا هنا؟"

"خ ا ي ف ه.. م ن ي؟"

"وأخاف ليه؟ إنت ممكن تآذيني؟"

"أ ن ا.. خ ا ي ف ا!"

"هاهاها.. خايف مني؟"

"خ ا ي ف.. ع ل ي ك!"

"لا تخاف.. أنا جنية أكثر منك!"

قالتها ورفعت أناملها عن قطعة البلا ستك فجأة.. وتركتني وحيداً على الورقة، أحضرَت الأيباد من على مكتبها واستلقت على سريرها وفتحت برنامج الكتابة ووضعت القطعة البلاستيكية عليه، فهمت مغزاها قبل أن تناديني وكأني إنسان بشحم ولحم معها في الغرفة..

"تعال هنا أحسن يا حوجن.."

وضعت القطعة البلاستيكية على الأيباد وانزلقت بنعومة ولكنها كانت كبيرة مقارنة بحجم الحروف، أبعدتها سوسن وقالت..

"خلينا نجرب كدا من غير الغطا؟"

وضعت أناملي على أناملها مباشرة وحركتها، شعرت أنني أنا الذي أتحكم في أناملها، ولكن حركة أناملها على لوحة المفاتيح طبع جميع الحروف التي تمر عليها فظهرت عبارات غريبة غير مفهومة، فأطلقت سوسن ضحكتها الطفولية التي أثارت فضول السيدة رجاء، فدقت باب غرفة سوسن وأصبت بالذعر فرفعت يدي على الفور وفتحت الباب وهي تسأل:

"سوسن؟ ضحكتك واصلة للسيب.. مع مين تتكلمي؟"

"جالسة أتفرج مقاطع يوتيوب تفطس من الضحك يا ماما"

"الوقت متأخر.. ما عندك محاضرات بكرة يا بنتي؟"

"لا ياماما.. وكمان مو جايني نوم!"

"طب أسويلك حاجة يابنتي؟"

"لا شوية وحانام.. ربي ما يحرمني منك يا ماما"

غادرت السيدة رجاء فمددت يدي على الفور نحو الآيباد، وعليها يد سوسن التي مازالت مستلقية على السرير ومتكئة على المخدة، همست سوسن همسة وكأنها تخشى أن تسمعها أمها:

"كنا حننكفش"

قالتها وأناملها على لوحة مفاتيح الأيباد تحركها بحذر دون أن تلمس الأحرف إلا عند توقفي عليها.. فرددت عليها..

"ربنا ستر"

تفاجأت سوسن، وتفاجأت أنا أكثر منها من سلاسة الكتابة بهذه الطريقة، ما أروعك يا سوسن! هي تتحدث وأنا أرد بالكتابة على لوحة المفاتيح باستخدام أصابعها مباشرة! أعتقد أن مخترعي لوحة الأويجي من الإنس والجن سينبهرون باختراعك، لست متأكداً إن كانت هذه الطريقة نافعة مع الآخرين، أم أن علاقتنا أنا وسوسن لها ظروفها الخاصة، لن أضيع هذه اللحظات الثمينة في الثرثرة مع نفسي..

"سوسن اش اللي شاغل بالك؟"

"ما فهمت؟"

"دايماً تبكي لوحدك؟"

"إنت دايماً تراقبني وأنا لوحدي؟"

"لا لا لا.. أنا أخرج من الغرفة أول ما تجي!"

"طب كيف عرفت إني بابكي دايماً؟"

"صور الأشعة.. أبوكِ مريض؟"

صُعقت سوسن من سؤالي الذي ندمت عليه حينما انهمرت دموعها على خدودها وأناملها والأيباد عابرة من خلال أناملي، مرت لحظات لم تتحدث، وحاولت جاهداً الكتابة ولكن أنامل سوسن تسمرت على حرف الضاد، كرهت نفسي وحماقتي إلى أن قالت:

"هذي صور أشعة دماغي أنا!"

نزل الخبر ثقيلاً جداً على قلبي، ماجت بي الأرض، هذه الزهرة اللطيفة التي تفوح سعادة على من حولها وما حولها، مصابة بورم في دماغها؟! ورم قد يقطفها في أية لحظة!

ما أقواها! لقد استجمعت قواها وغيرت مجرى الحديث وأجبرتني أن أبتر معها الموضوع حين قالت:

"أنا راضية بنصيبي وباستمتع بكل يوم في حياتي بدون ما أشغل بالي، باعتبر إني ما دريت أصلاً إني مريضة ولا حتى فكرت أقول لأحد، وربنا كريم، هو يتولاني، وبعدين تعال هنا، سيبك مني وحكيني كل حاجة عن الجن وعن أهلك، أبغى أعرف كل التفاصيل لو سمحت!"

ابتلعت حزني وأنا أحكي لها كل ما أعرف، وهي تعلق أحياناً وتبتسم أحياناً في استرخاء، تثاقلت حركة أصابعها وهي تقاوم النعاس بصعوبة، تمتمت قبل أن تستسلم لنومها:

"مع السلامة يا حوجن.."

ابتسمت وأنا أراقبها، كنت متأكداً أنها شعرت بابتسامتي، سحبت أناملي بهدوء، وكأني أخشى أن تزعجها حركة يدي، جلست على طرف سريرها أتأمل ابتسامتها التي لا تفارقها حتى عند نومها، وسالت دموعي، دموع فرحتي بالكلام مع سوسن، وحزني عليها.

(8)

رحمة الله عليك يا جدي

أحياناً أرتبك وأنا أحكي لكم قصتي، فكرت أكثر من مرة في أن أتوقف عن سردها لكم، أتساءل أحياناً مع نفسي، لِمَ أضيع وقتي في إقحامكم في مشاكلي وهمومي..؟! ولم تضيعون أنتم أوقاتكم في قراءتها؟ إنه الفضول.. فقط الفضول.. أنتم يا إنس فضوليون بامتياز، أعذركم على فضولكم لكل ما يمت لعالمنا بصلة، فذلك مصدر تسلية لكم، كما أنكم بفطرتكم تهابون كل ما هو غيبي وغامض ومجهول، أعتقد أن في إطلاعكم على تفاصيل حياتي طمأنة طفيفة لمخاوفكم، أو قد تكون ممارسة لهوايتكم في الاستمتاع بارعاب الذات، لا أفهم لماذا تجدون الرعب مسلياً لهذه الدرجة؟ تصنعون الأفلام التي تقضون أمامها الساعات فقط لتغمضوا أعينكم وتطلقوا صرخاتكم! بالرغم من كل ذلك قررت أن أواصل سرد قصتي مع سوسن..

مرت عدة أسابيع كنت أتحدث فيها مع سوسن بشكل شبه يومي، نقضي الساعات سوياً، لم تشعرني سوسن يوماً بأنني عفريت من عالم آخر بالرغم من فضولها وشغفها لمعرفة الأسرار التي تربط عالمينا، لم أشعر يوماً أن عمري يفوق عمرها بأربعة أضعاف، بالعكس كانت تدهشني دائماً بنضجها، لقد كانت تجاري عقليات صديقاتها عندما تكون

معهم مع أن فكرها أرقى وأعمق منهن بكثير. لم أتوقع أن تستوعب كم المعلومات الهائل عن عالمنا. تحدثت معها عن كل شئ، تنهمر تساؤلاتها وتساؤلاتي كلما التقينا، نبحث عن إجاباتها سوياً، نتفق، نختلف، نتحاور، كنت أتمنى أن أعرض عليكم ما جرى بيننا من حوارات، ولكن قصتي لا تتسع، أعدكم أن أحاول كتابة بعضها فور إتمام القصة.

قرأت معها كتبها، شاهدت أفلامها، استمعت إلى أغانيها، بل وساعدتها أيضاً في شراء ملابسها من الإنترنت، كانت تتكلم، وكنت أحرك أصابعي على حروف الإجابة فتكتبها هي على الفور وكأن الحواجز بين أبعادنا تلاشت وفسحت المجال لأرواحنا فامتزجت.

صارت تشعر بوجودي عندما أكون بجوارها، تعرف موعد عودتي من عملي، تجهز أيبادها وتعد قهوتها وتصر أن تعزمني عليها كل مرة وهي تعلم أنني لن أذوقها، تذيب قلبي عندما يسرقنا النوم أثناء حديثنا وأستيقظ على صوتها الحنون وهي تداعب سطح الأيباد وتهمس:

"حوجن؟ إنت لسا هنا؟"

وكأنها تخشى أن تزعجني، أو تنام أثناء حديثنا وأنام أنا تحت أحواض السوسن عند نافذتها، مرت هذه الفترة كالطيف العابر وبترها نداء أمي المتوتر لي، استيقظت، لم أجد وقتاً لأتأمل سوسن لأني كنت في لحظة قد وصلت للسطح لأرى جدي ولأول مرة من سنين جالساً بعد أن أمضى عمراً من حياته على الفراش، أشار إلي بيده المرتعشة ليجلسني بجواره، ونظراته تبحث عن شئ في الأفق، سكون الليل لم يقاطعه سوى دموع أمي الصامتة، إلى أن قرر جدي الكلام، وكأني أسمعه لأول مره يتكلم:

"وأنا صغير، قامت حرب الحرتين، ما أعرف أحد غيري حضرها ولا زال عايش"

"ربي يعطيك طولة العمر يا جدي ويخليك لينا"

"كنت في عز شبابي لما غرقت اليتمة"

عندما يقترب أجل الشخص يكثر من ذكر الماضي وتذكر الموتى، أنتم أيضاً تعرفون ذلك، بالذات عندما يصحو فجأة من سباته، تلك هي صحوة الوداع، كانت أمي متيقنة من ذلك،

بالرغم من محاولاتي الفاشلة لتشتيت تلك الفكرة ومقاطعة جدي.

"جدي إنت لازم ترتاح، إن شاء الله كلها أيام وتسترد عافيتك ونروح عمرة مع بعض.. و.."

جدي الذي لم يستمع لكلمة مما قلت، إلتفت إلي وقال:

"ميحال أرجل وأشهم وأكرم جني شفته في حياتي، وصاني عليك وعلى أمك قبل لا تطلع روحه وهو بين يدي"

انهارت أمي في بكائها المرير بالذات عندما أيقظ جدي ذكرى والدي، ولكنه تكلم معي أنا وكأنها غير موجودة:

"ميحال ضحى بنفسه عشان نعيش أنا وإنت وأمك.. عرضوا عليه يصير ملكهم، لكنه رفض، هددوه وعذبوه عشان يتخلى عننا، لكنه وقف في وجههم إلين قتلوه.. حوجن.."

"لبيك يا جدي.."

"لا أوصيك على أمك.."

"جدي..!"

"وعلي نفسك.. وعلى هذولا الإنس الطيبين، فيه إثنين مردة يحوموا حولين البيت من فترة، أنا عارف إش يبغوا.."

يا ترى هل عرف جدي بما دار بيني وبين زعنام؟ هل يعرف الوضع المخزي الذي وضعتهم فيه؟ هل يعرف أن حياته مهددة بسبب علاقتي الحمقاء بسوسن؟

"أنا ما بقي لي أيام طويلة أعيشها، إش بيستفيدوا من عجوز ينتظر أجله؟ هذولا جايين عشانك إنت يا حوجن!.. حوجن تتذكر أبوك؟.."

تحسس جدي وجهي بأنامله المرتعشة وابتسم وهو يقول..

"كأني شايف ميحال قدامي، إنت ورثت كل شئ من أبوك، نسخة منه! ما تتخيل قد إيش هم متعشمين إنك ترجع لهم، وتعوضهم عن خسارتهم في أبوك، ربنا خصه بقدرات ما يحلم بيها أكبر مارد عندهم، يبغوك ترجع عشان يزوجوك بنت عمك ويستمر نسل أبوك بينهم! أصحك يا حوجن ترجع لهم.. أصحك!"

وأعاد عبارته التي كانت أثقل من الجبال على قلبي:

"أنا أخذت الأمانة من أبوك.. واليوم أسلمها لك يا حوجن.."

قالها وهو يسعل بشده، وكأنه يخرج آخر الأثقال من صدره، وضعته على سريره بلطف، لم نبارح أنا وأمي مكاننا، نمت على الأرض بجوار سريره، كلما أفتح عيني أجد أمي تتأمل وجه جدي، تمسح على جبينه، وتنساب دموعها في صمت وتبتعد في مجراها إلى أن تسقط من ذقنها دون أن تزعج جدي.

أعتقد أنني سأخسر وظيفتي مع تكرار تغيبي، عرضوا علي سكناً بقرب مقر عملي، والأهم من ذلك بعيد عن بني البشر. ليتني قبلت عرضهم قبل أن تتعقد الأمور، لم يوصني جدي بعائلة الدكتور عبد الرحيم من فراغ، ياترى مالذي يخفيه جدي؟ ومن المردة الذين يحومون حول البيت؟ توقفت سيارة أمام الباب، وخرج منها أبو عطية صديق الدكتور عبدالرحيم، ومعه الشيخ موسى تاكاو ساحر إفريقي يدعي التدين بالرغم من أن خواتمه تفضحه، يتبعهما زعنام ومارد آخر لا يفارق الشيخ موسى..

الآن عرفت لماذا تغيب الدكتور عبد الرحيم عن عمله اليوم! نزلت بسرعة من السطح دون أن يشعر بي أحد، دخلت عبر شباك المطبخ إلى غرفة السفرة التي يفصلها ساتر عن غرفة الجلوس وحبست أنفاسي كي أسمع مايدور بينهم دون أن يشعر أحد بوجودي، ابتدأ أبو عطية حديثه:

"شوف يا ابو هتان، أنا والله لولا إني أعزك ما كان لزمت على الشيخ موسى يجي، تراه كله بركه ومكشوف له الستر.."

قالها بينما عجز الشيخ موسى عن إخفاء ابتسامة الزهو.. وهو يتمتم بهمهمات توهم من حوله أنه غارق في الخشوع والذكر فواصل أبو عطية:

"من يوم ما حكيت له عن اللي حصل في بيتك عرف على طول، بيتك فيه مردة حرأس يا دكتور.."

قاطعه الدكتور عبدالرحيم معترضاً بلباقة:

"بس يا أبوعطية الموضوع مر عليه شهور وماحصل شي الحمدلله، كل يوم نتحصن ونشغل سورة البقرة في البيت.."

"يا عبدالرحيم، لازم تعرف إنه هذا المخطط انبنى على قرية جن! وكنز ملكهم تحت بيتك بالضبط!"

قبل أن يستنكر الدكتور عبدالرحيم تكلم موسى لأول مره بلكنته الإفريقية:

"هذا رزق كتبه الله لك من فوق سبع سماوات، فيه أحد يرفض رزق الله؟"

واصل أبوعطية بإصرار ليتلاعب بنقاط ضعف الدكتور عبدالرحيم:

"يا ابو هتان، الشيخ موسى بإذن الله بإذن الله يقدر يتفاهم مع المردة ويقنعهم يسيبوا البيت ويفكوا الحجب عن الكنز اللي أصبح شرعاً ملكك إنت من يوم ما امتلكت أرض البيت، الموضوع مو سهل! بس بالله عليك مو حرام تضيع رزقك ورزق أولادك؟ هاه؟ تقدر تقول لي إش رح تسيب لهم من بعدك؟"

نجح أبو عطية في التلاعب بعواطف الدكتور فواصل بحماس:

"رح تسيب لهم أقساط البيت؟ كيف رح تزوج هتان وأخته؟ كيف رح تبني لهم بيوت؟ يرضيك يعيشوا المعاناة اللي عشتها؟ الحياة ماصارت سهلة زي أول يا دكتور! هذي فرصة سخرها الله لك! وهذولا أمانة في رقبتك، وربنا رح يحاسبك لو منعت عنهم رزقهم!"

لاحظ موسى تأثر الدكتور عبدالرحيم عندما داعب أبوعطية نقاط ضعفه، فأجهز عليه بالضربة القاضية:

"يشهد الله يادكتور أني لا أبتغي غير وجه الله، وما جيت إلا لمعزة أبوعطية عندي ولأنه مدح فيك كثير، هذي الأمور ما نحب نكشفها، ويبغالها شغل ومجهود ومخاطرات كبيرة، لكن إحنا نستعين بالله، وما يوقف في وجهنا أي مارد وشيطان بحول الله! أنا مستعد أثبت لك إننا ما بنستعين غير بالقرآن والجن والخدام الصالحين، ولو تعطيني فرصة أنا ممكن أعرف حجم الكنز وأخليهم يفرجونا عليه عشان تصدق بنفسك، وفي النهاية الموضوع راجع لك إنت!"

كان زعنام والمارد الآخر (شنن) يجلسان في ضجر، وكأنهما قد ملاّ هذا السيناريو المتكرر، وينتظران دورهما فيه، فواصل موسى وهو يخرج من جيبه قطعة قماش حمراء فيها معجون بخور ذو رائحة نفاذة:

"هذا يا دكتور لبان مقري عليه، الآن بأسأل الخادم الصالح ميكائيل قدامك عشان تصدقني!"

وضع موسى جزء من البخور على طفاية السجائر، أوقدها فتصاعد منها دخان أبيض كثيف، فمال أبوعطية نحو الدكتور عبدالرحيم هامساً:

"الخدام الصالحين دايماً يطلع لهم دخان أبيض، دحين تسمعه بنفسك، أصحك تتريك.."

تصاعد الدخان بكثافة، وازدادت وتيرة تمتمات موسى وهو مغمض عينيه ويلوح بيده فوق الدخان، فقام شنن وجلس أمام الطفاية وتحدث بصوت مسموع وأسلوب استعراضي:

"السلام عليك يا صاحب الدار.."

انتفض الدكتور عبدالرحيم رغم صلابته، وتردد قبل أن يستوعب الموقف، فرد السلام:

"وعليكم السلام.."

"نحن نعتب عليك يا دكتور.. كيف ما تقبل مساعدة إخوانك الصالحين من الجن..؟ بيتك تسكنه عائلة من المردة الحرّاس على كنز الملك هانان، بعون الله نقدر نقنعهم يسلموك كنزك، أو على الأقل ينقلوا الكنز وينصرفوا من..."

لم أستوعب مالذي حصل، ولكني لمحت خيالاً خاطفاً انطلق نحو شنن ودفعه بعيداً وأخرسه، إنه جدي..! ذلك المريض الذي لا يقوى على الحراك ولا الكلام رأيته اليوم يعتصر المارد بيديه وكأنه شاب لم يجاوز المائة عام! تتبعه أمي التي انقض عليها زعنام متردداً.. وقبل أن أستوعب الوضع هجمت على زعنام عندما رأيت انقضاضته على أمي.. وقفت بينه وبينها فارتطم بي، لا أعرف من أين أتتني كل تلك القوة! قبضت على رقبته وكدت أن أنتزعها في يدي وألقيت به بعيداً، التفتُ إلى جدي فرأيت شنن يستميت ليفلت من بين يديه بعد معركتهما الشرسة، لمحني فجحظت عيناه وهو ينظر إلي في رعب، رأيت

إصابات جدي البليغة فصرخت فيه صرخة تشتت على إثرها الدخان الأبيض، واضربطت كهرباء البيت. استطاع زعنام أن يحمل بقايا شنن وينفذ بجلده.. ومع معركتنا توتر الموقف بين الدكتور عبدالرحيم وضيوفه، حيث توقف حديث الخادم الصالح المزعوم، وتلاشى الدخان، وظهرت علامات التوتر الشديد على موسى الذي عقب قائلاً

"شفت يا دكتور عبدالرحيم؟ حراس الكنز ما يحبوا الخدام الصالحين، بس لا تشيل هم.. ربنا معانا بإذن الله!"

لاحظ أبوعطية توتر موسى الساحر، فقرر إنهاء الزيارة وهو يقول:

"أديك سمعت وشفت بنفسك يا عبدالرحيم، لو ما اتصرفنا بسرعة صدقني بيأذوك ويأذوا أهلك.. خليني أوصل الشيخ موسى وأكلمك بعدين.."

ودعهم الدكتور عبدالرحيم وملامحة تقطر ذهولاً وقلقاً، ودخل من الباب وهو يردد الأذكار وآية الكرسي. حملنا جدي الذي استنفد ما تبقى له من قوة، حملناه إلى سريره أنا وأمي، كان مبتسماً مطمئناً وكأنه أتم مهمته على أكمل وجه.. مهمته التي استغرقت 420 سنه!

(9)

سوسن.. تحتضر!

رحمك الله يا جدي رحمة واسعة.. دفناه في بقيع الغرقد كما أوصى بجوار آل النفر وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كانت آخر وصاياه أن تبقى أمي في اليتمة على مشارف المدينة المنورة في حماية من تبقى من آل النفر، الذين بالرغم من اختلافهم مع جدي بسبب تزويجه أمي بمارد إلا أنهم رحبوا بعودتها واحترموا وصية جدي، بقيت مع أمي شهراً في اليتمة، لم يستسغ آل النفر وجودي بينهم، أشعروني أني مارد متطفل عليهم! الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا فرق إلا بالتقوى ولكنهم للأسف يقدمون النسب على التقوى، أعتقد أن المفاضلة على أساس التقوى قد تلاشت عندنا وعندكم فأصبحت بالأنساب والمصالح! لولا أمي لما بقيت في اليتمة يوماً واحداً. قررت أن أوفر عليهم حرج طردي فغادرتهم بعد أن اطمأنيت على أمي، وعدت لأنفذ باقي وصية جدي: حماية الدكتور عبدالرحيم وأسرته.. حماية سوسن!

شهر كامل ابتعدت عن سوسن، لم أستطع حتى أن أودعها أو أطمئنها، يا ترى هل اشتاقت إلي كما اشتقت إليها؟ ولكن كيف سأعلمها بحضوري؟ سأنتظر بجوارها إلى أن تفتح أيادها وأحاول أن أحرك أناملها بأناملي، لهفتي جعلتني أتجاهل مدخل البيت وأندفع فوراً من نافذة غرفة سوسن..

لم تكن موجوده، لم يكن هناك أحد في البيت سوى الخادمة، كل شئ في البيت بدا كئيباً وكأنهم هجروا البيت من أيام، يا ترى ما الذي حصل في غيابي؟ تزايد قلقي وأنا أبحث عن أي علامة ترشدني إلى مكانهم أو تطمئنني عليهم، إلى أن انطلق رنين هاتف المنزل، الخادمة التي جلست تشاهد التلفاز في غرفتها لم تسمع..

قد يكون المتصل أحد أفراد الأسرة.. توقف الهاتف دون أن تسمعه الخادمة، جُن جنوني! يجب أن تجيب! مددت يدي لا شعورياً إلى تلفازها، أحاول أن أدفعه ليقع، كانت يدي ترتطم به دون أن يحصل شئ، جاهدت لنزع سلكه من الحائط دون فائدة بدأ رنين الهاتف مرة أخرى ومع حدة توتري حصل مالم أكن أتخيله أبداً! مع محاولاتي لنزع سلك التلفزيون سقط فجأة على الأرض فأصبت أنا والخادمة بالهلع! انتزعها رنين الهاتف من هلعها فقامت لتجيب عليه.. أسرعي بالله عليكِ رفعت السماعة في آخر لحظة.. ومزقت عباراتها قلبي:

" ايواه.. مستر ومدام كله روحي مستشفى عشان سوسن مره تعبانه.. غرفه 307 مستشفى تخصصي.."

لم أنتظرها حتى تكمل فما قالته كان كافياً أن أكون في المستشفى خلال دقائق قليلة، هتان كان يحاول امتصاص عبء الحديث مع الأطباء والزائرين عن كاهل والده الذي كان صامتاً لا ينطق فيه سوى دمعة متحجرة على عينه، وذراعه محيطة بالسيدة رجاء التي انهارت في بكاء مكتوم وهي تتلو آيات الشفاء. هذا المشهد كان كفيلاً بالقضاء علي لولا أنني تمالكت نفسي وانطلقت كالمجنون أفتش عن سوسن بين غرف العناية المركزة..

رأيتها.. بل رأيت جسدها الذي لا تبدو عليه أدنى علامات الحياة لولا تحرك صدرها ببطء.. الأنابيب تغلغلت في عروقها ورئتيها معلنة أن حياتها ستتوقف إن توقفت تلك الآلات.. أنفاسها، نبضها، عيناها التي خبا بريقهما غير مغلقتين ولا مفتوحتين كلها توحي بأن سوسن غارقة في غيبوبة قد لا تغادرها سوى إلى قبرها..

ورم في الدماغ سبب ضغط على المراكز الحيوية، أدى إلى غيبوبة كاملة، صور الأ شعة المقطعية ونقاشات الأطباء والمستشارين كلها تشير إلى أن سوسن لو حالفها الحظ

وعاشت فستبقى في غيبوبة، أو ستستعيد وعيها ولكن مع أضرار جسيمة في المخ قد تعيقها ذهنياً وحركياً باقي عمرها.

"عظم الله أجرك في جدك يا ولد عمي!"

قالها زعنام من خلفي ساخراً، حزني ألجم غضبي، لم ألتفت حتى إليه وأنا أراقب سوسن مع أنني متأكد من أن له يداً فيما حصل لسوسن، فاستمر هو متظاهراً بالتعاطف والأسى:

"معليش ما قمنا معاكم بالواجب، بس لو تحتاج شي ترا أنا تحت أمرك.. وبخصوص حبيبة القلب.."

التفتُ إليه وهممت أن أطفئ حزني وغضبي بتحطيم رقبته فاستدرك قائلاً

"أي تهور منك رح يقضي على سوسن، عشان تصير جبت أجل جدك وحبيبتك مع بعض! خليك عاقل واسمع كلامي عشان نستفيد إحنا الإثنين.."

كلامه لا يعني سوى أن سوسن واقعة تحت تأثيره وقد يقوم بإيذائها أو قتلها! تمالكت نفسي بصعوبة شديدة ولم أستطع حبس دموع الحزن والقهر وأنا أقول:

"إش سويت لسوسن يا ملعون؟!"

"أولاً أنا جايك بكل أدب واحترام وحسن نية، لكن لو قليت أدبك رح تضطرني.."

قالها فبدأت المؤشرات الحيوية لها بالا ضطراب فهرعت ممرضتان إلى سوسن بقلق وبدأتا في فحصها ودخل الدكتور وبدأ يتفقدها بقلق.. زعنام يعني ما يقوله، وليس لدي خيار سوى الاستماع لمطالبه للأسف! فواصل هو في استهتار بعد أن عادت مؤشرات سوسن لمعدلاتها:

"يعني.. لما انشغلت إنت في أمور العزاء قلت لازم أنتبه لأسرة الدكتور عبدالرحيم في غيابك، أولاد العم لبعضهم برضو! بس للأسف الدكتور طمع ودخل في خزعبلات الكنز والخدام والخرابيط دي واستعان بالمردة، وانت عارف إحنا ما نقدر نرفض طلب لأحد، بس... لكل شي ثمن..! ميزانية الدكتور ما كفت واضطر ياخذ قرض ويرهن البيت.. يلعن أبو الطمع! وفي النهاية ضيع شقا عمره ورا الأوهام، وأنا صدقاً سويت كل شي أقدر عليه عشان يسامحوه في بقية مستحقاتهم، وضحيت بجهدي ووقتي وسكنت بيتهم

بدل ما يرسلوا مارد غيري شرير ممكن يأذيهم! وكمان أضطريت أنتحل شخصيتك عشان أتكلم مع سوسن وأسليها في غيابك، يعني.. ما هان علي أشوفها متلهفة وقلقانة عليك وكل ليلة تجلس تبكي عالأيباد وتناديك بدون ما ترد، قلت أرد أنا.."

كل كلمة قالها زعنام كانت تمزقني حزناً وغضباً، لوهلة راودتني نفسي أن أقضي عليه انتقاماً لجدي ولسوسن ولكني أريد التشبث بأي أمل ينقذ حياتها.. واصل زعنام مسرحيته:

"جربت ألعب معاها في البداية روحها ما حست بوجودي، بس بعدين مشي الحال.. على فكرة سوسن مملة جداً حاولت أتسلى معاها شوية سوت لي فيها شريفة وعفيفة وحساسة وزعولية، فاضطريت غصباً عني إني أتشكل قدامها بشكل لطيف.. بس ما أدري ليه اترعبت مني..؟ المهم لو قالت لك عيونك بالطول ونازلة تحت مستوى أنفك وراسك شبه الكمثرى.. فرجاءً قول إيوه عشان مو لطيفة أطلع.. اا قصدي تطلع قدامها كذاب! المهم لما حاولت أوريها شكل حوجن حبيب القلب واتشكلت بشكل أوسم من

شكلك بكثير ما قدرت تستحمل وأصيبت بانهيار ودخلت في الغيبوبة..!"

أعرف أن زعنام يتلذذ بالتلاعب بأعصابي فقررت أن أضع حداً لاستعراضه المستفز:

"زعنام اش تبغى مني؟"

"أبغى مصلحتنا أنا وإنت! على فكرة أنا أنقذت حياتك، وللا كان المردة قطعوك عشان ينتقموا لشنن..!"

"شنن مات؟"

"شنن مات، مو من معركته مع جدك، ولكن من صرختك! أنا زبطت السيناريو اللي يفيدنا أنا وإنت، بس لازم تساعدني!"

وبدأ يشرح لي خطته الجهنمية، الخطة التي خدع بها أعتى المردة والشياطين!

"أنا فهمتهم إنك كنت بتعاوني من البداية، وإنك اختلفت مع آل النفر بعد ما عرفت إنهم طردوا أبوك

واتبرأوا من أمك وإنك قررت تدبر معايا كمين لقتل جدك عشان عيون حبيبة القلب ولكننا كلنا اتفاجأنا إنه جدك فيه رمق وقدر يقتل شن قبل ما تعاوني على قتله، وإنك كذبت على أمك وآل النفر وفهمتهم إنك كنت بتدافع عنه!"

"الله يلعنك يا زعنام!"

"تسلم حبيبي! وعلى فكرة فيه فاعل خير راح اليتمة ونبههم إنك شاركت في قتل النفري عشان حبيبتك الإنسية!.. ولو قربت منهم رح يقتلوك! إش رأيك في التكتيك؟ إنت حر.. تقدر تقتلني في هذي اللحظة وتخسر كل شي.. أو تخدمني خدمة بسيطة وتعيش أسعد حياة مع سوسن أو حتى ترجع لأهلك معزز مكرم! ملك ولد ملك!"

"اش المطلوب؟ اش بتستفيد مني؟"

قرر زعنام أن يعرض طلباته بعد أن تأكد أنه لا مفر لدي من الخضوع لها:

"تجي معايا وتسلم على الملك هياف وتقول له إنك ساعدتني عشان نقتل النفري وتتزوج جمارى أختي وتجيب منها ولد وأول ما تسلمني الولد إنت حر سيب جمارى وللا حتى اقتلها وارجع للإنسية حقتك!"

لم أكن أدري أن دمائي مهمة عندهم لهذه الدرجة، عرفت أن أبي هو الوحيد الذي ورث قدرات جدي وأنا ورثتها بالتالي، وبعد أن يئسوا مني قرروا أن يحافظوا على بقاء هذه القدرات ويضمنوا ملك المستقبل من الآن.. إبني! يريدونني أن أنجب من إحدى أقرب قريباتي ويتأكدوا من انتقال صفاتي إليه ويحتفظوا بفلذة كبدي ليصبح ملكاً للمردة والشياطين! ماذا أفعل يا ربي؟ بتر زعنام أفكاري الحائرة:

"حفل زواجك بجمارى بكرة.. ولو مو عاجبك ممكن أخليه أول أيام عزاء سوسن.. الخيار لك! بكرة ساعة المغرب في حضرة الملك هياف!"

قالها واختفى.. شعرت بالخدر في أطرافي، جلست أمام سوسن أتأملها وكأني نسيت أنه ليس أمامي سوى ساعات معدودة لإنقاذ حياتها، كان الزوار ينظرون لجسد سوسن من خلال النافذة الزجاجية التي تخطيتها لأبقى بجوارها، أملس بيدي على يدها اليابسة وخدودها الذابلة وعينها المتحجرة، لمحت خلود من خلف الزجاج أتت لتزورها ولكنها لم تحتمل رؤيتها لأكثر من دقيقة، همت بالمغادرة فتبعتها على الفور، لا أعرف لماذا، ربما لأنها أملي الوحيد المتبقي للتواصل مع عالمكم، وهذه نقطة تفوق على المردة يجب أن أستغلها وأنا أتعامل مع داهية كزعنام.

ما حدث لسوسن أصاب خلود بالرعب، بالذات وهي تشعر بأن للعبة الويجا دور. كانت مشاعرها متلاطمة بين الحزن على سوسن وتأنيب الضمير على تعليمها على لعبة الويجا وخوفها من أن يصيبها أذى من الجن الذين آذوا سوسن. كيف سأتفاهم معها بعد كل هذا؟ يستحيل أن تحصل معجزة وتلعب خلود الويجا هذه الليلة، سمعتها تتحدث على الهاتف مع أريج وهي تبكي:

"سوسن راحت يا أريج.. راحت"

"الله يلطف بها بس، والله ما قدرت أزورها عشان خايفة! كنت حاسة إنه اللي بنسويه ما حينتهي على خير!"

"أنا حرقت الويجا وحرمت أتكلم عنهم!"

"طب لا تجيبي سيرتها! يللا باي لازم أقفل!"

أنهت أريج المكالمة، وبدأت خلود في الاتصال بشخص آخر، أسرعت إلى يدها، أمسكت بالهاتف معها، حاولت أن أستخدم أصابعها كما فعلت مع أيباد سوسن، لم تستجب أصابعها لحركة أصابعي، جن جنوني وصرخت:

"أبغى أكلمك! حركي صباعك أرجوكي!!"

حاولت بانفعال، تحركت أصابعها حركة عشوائية ولكنها لم تستجب لحركتي، استغربت خلود من تلك الحركة، كنت أحاول أن أكتب أي شئ لتفهم، كانت تريد أن تتصل فحاولت مرة أخرى فاستطعت في النهاية أن أدفع أصابعها فتحركت على الحروف: S A W.. فظهر اسم سوسن ورقم جوالها في أعلى القائمة، أطلقت خلود صرخة رعب مدوية عندما رأت اسم سوسن ظهر أمامها فألقت بهاتفها بعيداً وكأنه رأس عفريت

يريد إيذاءها. لا يهمني أبداً رعب خلود.. ما يهمني الآن هو أن أصل وبأي ثمن إلى إياد! يجب أن أصل إليه الآن قبل فوات الأوان..!

(10)

جمارى.. ملاك بين العفاريت!

قد تستغربون لو قلت لكم أنني قضيت آخر ساعات ذلك النهار في الحرم، أمام الكعبة.. صليت العصر ومكثت أستغفر الله على ما فعلت وما سأفعل، يا رب سامحني إن قمت بأي عمل لا يرضيك، يارب أنت أعلم بحالي وحالها، ألطف بنا يا رب.

انطلقت إلى جزيرة قُمَاح، حيث قصر الملك هياف الذي يحكم ممالك المردة في جنوب البحر الأحمر والجزيرة العربية وشرق إفريقيا، الملك الذي كان يفترض أن يكون أبي مكانه.

بصراحة تغير الانطباع السلبي الذي كنت أحمله طول عمري عن مملكة المردة، أحياناً نعمم سلبيات من يعادينا أو يخالفنا لدرجة تجعلنا نقتنع أنهم شر مطلق وأننا خير مطلق.. لا نعترف بعيوبنا ونتبجح بتضخيم عيوبهم وكأنهم لا يملكون غيرها! لكل شخص ميزاته وعيوبه وأعذاره ودوافعه، وفي كل مجتمع خبيث بوادر طيبة، وفي كل مجتمع طيب مظاهر خبث مهما ادعى الملائكية.. شعرت بالحزن عندما وطأت قدمي قمَاح، زرتها مع أبي آخر مرة وأنا طفل لم أتجاوز العشرين، بالرغم من الخلاف الذي كان يتفاقم بينه وبين إخوته كان يحرص على أن يربطني بأصولي وأهلي.. لقد تدهورت قماح، أصبحت خراباً بعد أن كانت القلب النابض لممالكنا،

تلك هي ضريبة الزحف البشري، فمع ازدياد انتشاركم ينحصر تواجدنا، تجولت بين البيوت الخربة، من النادر أن تجد أحداً مستيقظاً قبل المغرب، فقط بعض الكادحين على أرزاقهم، لا تعنيهم تعقيدات الحياة، ولا يجدون وقتاً لمراجعة مبادئهم وتفنيد معتقداتهم.. فقط يكدّون ليجدوا ما يأكلونه ويبقيهم على قيد الحياة لليوم التالي.. بالنسبة لهم التنظير في قضايا الفكر والمعتقد رفاهية لا يطالها سوى القلة المترفة، نظراتهم البائسة اخترقتني وكأنهم لا يرونني، لم يلاحظني سوى عملاقان تقدما إلي وسألاني بحزم عن اسمي وسبب وجودي في قماح، عندما أخبرتهم بأني حوجن الفيحي تغيرت نبرتهم وتحولت للتقدير والاحترام المغلفان بهيبة وقد أقول خوف أيضاً.. ربما لأن أسرة الفيحي تعتبر من الأسر الحاكمة لهم.. انطلقت معهما إلى ملاج حيث انتقلت سلطة المردة، أصر الحارسان على أن يوصلاني بنفسيهما إلى بيت زعنام. استقبلني زعنام بحفاوة مريبة، كان شخصاً آخر تماماً، وكأنه نسي خلافنا ومعاركنا، في البداية ضايقني كرمه المبالغ فيه ولكنني في النهاية قدّرت إكرامه لي، أظنه لم يتوقع أن أستجيب لطلباته، أعتقد أن زيارتي لزعنام أثبتت للجميع أنه نجح في لم الصدع الذي أحدثه أبي عندما تحداهم،

ولكنني مهما اختلفت معهم فهم في النهاية أهلي! في خلال ساعات بسيطة أعد زعنام وليمة كبيرة جداً على شرفي، دعا إليها معظم آل الفيحي وكبار أعيان البلد، لم أشعر في حياتي بهذا القدر من الحفاوة، كنت أتخيل أنني سأواجه حفنة من الشياطين المردة ولكنهم في الواقع فاجأوني بلطفهم، أعتقد أن زعنام حذرهم من الخوض في أي مواضيع دينية أو خلافات عائلية، لم يتعجبوا حتى من لكنتي التي فضحت تأثري بإنس الحجاز بالرغم من أني حاولت جاهداً التحدث بلهجة أبي. انصرف الجميع بعد أن ألحوا علي أن أبقى على تواصل معهم، وأن القرابة تبقى فوق كل خلاف.

بقينا وحدنا أنا وزعنام، لا يستطيع أن يتحاشى نظراتي المتسائلة أكثر من ذلك، ضيّفني بالمشروب واحتسى هو منه مبتسماً ليثبت لي أنه لم يلغمه بسحر. أعلم أنكم ستتساءلون: وكيف يتعرض الجني للسحر؟ السحر ياسادة عالم عميق ومعقد، ليس بالسطحية التي تتخيلونها، كما أن الجن أيضاً طبقات وعوالم مختلفة متداخلة، هناك من هم مثلنا يشبهون الإنس إلى حد كبير، وهناك شياطين سفليين لا نستطيع حتى أن نراهم أو أن نؤثر فيهم كالقرناء مثلاً وخدام السحر.. بعيداً عن كل تلك التعقيدات شربت من كأسي كي أثبت لزعنام

ثقتي، أو بالأحرى لا مبالاتي فلم يبق لدي شئ لأخسره..
ابتسم وهو يقول:

"ما كنت متخيل أبداً إنك تجي! الواحد ماله غير أهله يا ولد عمي! اللعنة على المصالح اللي تفرقنا!"

لم أرد عليه سوى بابتسامة باهتة كاذبة فواصل:

"صدقني يا حوجن كل اللي باسويه غصب عني! هنا مافيش أي رحمة! يا تنفذ اللي ينطلب منك يا يقتلوك! وأنا اللي انطلب مني شي مو سهل أبداً! أعمامك وأولاد عمك اللي قابلتهم اليوم كلهم مرعوبين! كلهم خايفين يتذبحوا واحد ورا الثاني! كلهم متعشمين إنه بسببك يحصلوا على شوية حصانة، مو بس الفيحيين.. الكل متعشمين فيك كل خير، من يوم ما عمي ميحال سابنا اتدهورت أحوالنا، الملك هياف ما يرحم أحد.. ما رحم أولاده وأحفاده!"

دمعت عيني زعنام، هل يعقل أن يبكي شخص كهذا؟..

"أنا دفنت زوجتي وبنتي بيدي، بس عشان فكرت أعترض على إني أصير مارد! صدقني يا حوجن

موقفك أهون من موقفي بكثير! إنت في أسوأ الأحوال رح تخسر إنسية! مجرد إنسية! يعني حتى لو عاشت، كلها أربعين خمسين سنة ورح تعجَز وتموت قدامك وانت ما تقدر تسوي لها أي شي! أربعين سنه تعدي في غمضة عين! أما أنا فحياتي على المحك! لو أقنعتك تعيش معانا وترجع لعرش جدك رح أكون أنا وزيرك لكني متأكد إنك مستحيل تقبل بهذا الخيار، عشان كذا وعدتهم بنسلك!"

صدق زعنام، فموقفه أصعب من موقفي بمراحل! حياتي التي كنت أتخيل أنها شاقة ومعقدة لا تقارن أبداً بالظروف التي يواجهها أهلي هنا!.. ولكني لن أتخلى أبداً عن مبادئي، ولن أفرط في حياة سوسن مهما كانت التضحية! لن أسمح لنفسي أن أكون سبب عذابها! قطعت حبل أفكاري لأواصل الاستماع لزعنام:

"مشكلتك يا حوجن إنك مندفع ورا عواطفك ومثالياتك، وأنا أمشي ورا عقلي ومصالحي.. مصالحنا كلنا! على فكرة أنا من جد ما أتمنى أحد غيرك يتزوج جمارى، إنت عارف انه ما بقي لي غيرها!"

تابع وكأنه فهم ابتسامتي التي استعادت ما قاله بالأمس عن قتل جماري إن أردت:

"أنا عارف ومتأكد إنك مستحيل تإذيها.. بالعكس أنا رح أطمئن على جماري معاك أكثر مني!!.. "

أطرق برأسه قليلاً ثم ناداها، نادى جماري:

"تعالي ياجماري.. تعالي سلمي على ولد عمك.."

في هذه اللحظة بالذات تذكرت ما قالته لي سوسن يوماً.. بالرغم من مهارتها في التحكم بمشاعرها، إلا أن الأنثى تبقى أنثى.. لا تستطيع مداراة غيرتها وفضولها، سألتني سوسن يوماً عن جمال بنات الجن وكيف يقارن بجمال الإنسيات، ومن حمقي استطردت في وصف طبقات جمال الجنيات الذي يتجاوز بكثير الرشاقة وألوان البشرة والعينين والشعر، ولكنني استدركت نفسي، فسوسن في النهاية.. أنثى..! غيرتها سهلة الا شتعال، أنا متأكد من أن غيرتها كانت ستنفجر لو رأت جماري..! آخر مرة رأيتها كانت مجرد طفلة لا تمت بصلة للحورية التي أراها أمامي، رأيت اليوم ملاكاً يعيش بين العفاريت! كم أتمنى لو أنكم تعرفون مقاييس عالمنا وتستوعبون

تشاكيلنا وأبعادنا لأصفها لكم بشكل أدق، دخلت جماري وجلست في طرف الغرفة ولم ترفع رأسها وهي ترحب بي:

"كيفك يا حوجن؟"

لم أرد عليها، كنت مشغولاً بتأملها، ولم يشغل زعنام نفسه بإذابة كومة الثلج بيننا فغادر الغرفة دون أن يتكلم، فارتبكت جماري وارتبكت أنا أكثر منها.. فحاولت أن أزيل بعض الإحراج:

"زمان عنك يا جماري.. كبرتِ، واتغيرتِ كثير.."

"كل شي يتغير، ما في شي يبقى على حاله.."

قالتها ممرغة بحزن يختصر المآسي التي مرت بها وغيرت حياتها، فواصلت هي في تلطيف الأجواء حيث فشلت أنا:

"ما تتخيل قد ايه عمي ميحال وحشني، مازلت أتذكر لما كان يشيلني ويلعبني وأنا صغيرة، كان دايماً يقول لي..."

بترت عبارتها عندما أدركت أنها لا تناسب أبداً حساسية الموقف، كنت أعرف أن أبي كان يتمنى تزويجها لي قبل أن

تسوء الأوضاع بينه وبين أعمامي، كان دائماً يناديها: يا أم ميحال..

غيرَت الموضوع.. أو بالأحرى دخَلَت في صلب الموضوع:

"اسمع يا حوجن، أنا متأكده إني مستحيل أرتبط بأحد أروع منك بس..."

أشاحت بوجهها، وعينيها الملائكيتين تحاولان حبس دموعها:

"بس أنا مستحيل أرضى إني أتزوج بالطريقة دي! ما أرضاها لي ولا لك!"

"زعنام حكى لك عن التفاصيل؟"

"زعنام ما يخبي عني أي شي، أنا وهو اتضاربنا بسبب هذا الموضوع، لعلمك أنا وافقته بس عشان ننقذ حياة الإنسية المسكينة.."

"أنا رح أحاول أتفاهم معاه وأقنعه يفكها و..."

قاطعتني وقالت بيأس:

"زعنام ما يقدر يفكها! زعنام متورط زيه زينا، الموضوع في يد الملك هياف! الإنسية لبسها واحد سفلي رابط على دماغها، أرسله الملك هياف عشان يضغط أكثر على أبوها ويضطر يرجع للساحر ويقدم الذبايح، عشان يفك سوسن من لعنة "حراس الكنز".. كدا فهموه. الأن أبوها بيحاول يدبر مبلغ كبير ويقدم الذبيحة عشان ينقذ حياة بنته، هو اللي جاب المصايب لنفسه! هو اللي فتح بيته للمرده، ما عمري شفت زي طمع وغباء الإنسيين..!"

توقفت عن الحديث عندما شَعَرت أن انتقاصها من الإنس قد يجرح مشاعري فسألتها:

"طب على أي أساس فهّمني إنه يقدر ينقذ حياتها؟"

"ما يقدر! هو من يأسه وعد الملك إنه يرجعك وطلب منه يرسله لبيت الإنس عشان يقنعك إنه ما فيش فايده من الإنس ولا من النفريين وترجع لنا، ووجودك هنا اليوم يثبت إن خطته نجحت! لكن في كل الأحوال

لازم يقنع الملك هياف إنه يفك جني الربط عن الإنسية عشان تفوق."

"ما عمري شفت أدهى من أخوكِ!"

"أخوي يبغى يعيش.. أنا كمان أبغى أعيش! لكني مستحيل أرضى أعيش عاله على أحد. أنا مو محزني غير الإنسية المسكينة، ونفسي أساعدها بأي طريقة. لا تحسب إني عندي أي مصلحة.."

ما أروعك يا جمارى.. ولكن روعتك وجمالك وقرابتك لي شئ وحبي لسوسن شئ أخر تماماً، في هذه اللحظة بالذات تمنيت فعلاً أنني لم أعشق سوسن ولم ألتق بها يوماً..

"جمارى، أنا مابقي لي أحد في هذي الدنيا غير أمي وانتو..! ونفسي كمان أسوي أي شئ أقدر عليه عشان أخلصك من كل هذا! خلينا بس نخرج من هذا المأزق وبعدها يحلها حلاّل.."

في هذه اللحظة دخل زعنام، وبيده عقد النكاح لا يكاد يخفي توتره وضيقه من هذا الموقف:

"حوجن، هذا عقد إسلامي، وعندي اثنين مسلمين مستعدين يشهدوا إذا وقعت.. وعلى العموم الموضوع راجعلك.. صدقني أنا مستحيل أضر أحد إلا لو اضطريت!"

تناولت العقد، عليه توقيع جمارى، نظرت إليها ولكن خجلها وتوترها لم يسمحا لها بالنظر إلى عيني، فتركتني بعد أن تركني أخوها، وجلست وحدي أتأمل ذلك العقد.. عقد زواجي بجمارى..

(11)

إيوان الملك هيَّاف

الملك هياف رمز للسيطرة المطلقة الغير قابلة للنقاش مثل أنظمتكم المستبدة تماماً ولكن الفرق الوحيد هو أن ملك المردة يستمد صلاحياته من اللعين مباشرة والذي يمثل السلطة العليا في مملكة الشياطين، بينما تمارس أنظمتكم ظلمها بالاعتماد على جهل وفقر وخوف شعوبها وفوق ذلك تدعي أنها تستمد أهليتها وشرعيتها من الله مباشرة وباختيار شعوبها التي تسحقها ليل نهار.

وبالرغم من صلاحيات الملك هياف، إلا أنه في النهاية لا يعتبر سوى موظف بين يدي أسياده، لا يستطيع أن يستغل صلاحياته لأغراضه الشخصية، فمصلحة اللعين فوق كل المصالح الأخرى.. القضية بالنسبة لهم ليست كما تصورونها أنتم: إنس وجن، ملائكة وشياطين، أخيار وأشرار.. القضية قضية مصلحة فقط. ليست لديهم أدنى مشاعر تجاهكم، هم ينفذون ما يحافظون به على حياتهم وطز في الجنس البشري بأكمله.. ولكن قواعد اللعبة تحتم أن لا يتخطوا حدودهم مع البشر إلا بدوافع من البشر أنفسهم، شرور البشر وغفلتهم ودناءة نفوسهم هي المفاتيح التي تفتح الأبواب للمردة للتدخل في عالمهم، فما بالكم لو استعان الإنسان بالمردة وقدم القرابين للوكهم؟ هذه هي حالة الكفر الصريح، إذا تم توثيقها

من قبل المردة فإن عوائدها مغرية جداً وهذا ما يسعون إليه دائماً. الدكتور عبدالرحيم كان جاهزاً للمرحلة الأخيرة من مراحل التقرب لهم، انطلت عليه الخدعة وأصبحت تلك القرابين أمله الأخير لإنقاذ حياة ابنته وإنقاذ أسرته من الأزمة المالية.

أعرف أنكم الآن تتعوذون بالله من أفعال الدكتور عبدالرحيم، ولكن قولوا لي بالله عليكم لو كانت حياة شخص عزيز على أحدكم مهددة، وكان أمله الوحيد لإنقاذها هو في ذبح تيس أسود عكس القبلة على افتراض أن دمه سيبعد المردة الأشرار.. فهل سيتردد؟ لا تحكموا على الدكتور عبدالرحيم إلا لو مررتم بمأزق كمأزقه!

ذهبنا لمقابلة الملك أنا وزعنام وجمارى.. زوجتي! كانت متشبثة بذراعي وكأنها وجدت ولأول مرة ملاذاً لمخاوفها، في العادة يستحيل تحديد موعد لمقابلته، وحتى إن وافق عليها لا تتم إلا بعد أسابيع أو أشهر، لكن الوضع يختلف مع حرص الملك هياف على لقائي أنا بالذات! لا أعلم ما السر! قد يكون كل هذا مجرد كمين لقتلي، للتخلص مني قبل أن أفكر في الانتقام من قتلة والدي، كل شئ جائز.. ولكنني لا أحمل ذرة خوف واحدة، على عكس زعنام الذي كان يرتعد طوال الطريق

ويوصيني بأخذ الحيطة والحذر وتلقيني بما يجب أن أقوله وما يجب أن أتحاشاه كي لا أعرض حياة سوسن وحياتنا للخطر.

لم أر في حياتي مملكة أكثر تمدناً وازدهاراً من ملاج، لا أعني بالازدهار تلك الصورة النمطية التي في أذهانكم، نعم هناك القصور المبهرجة والمباني العملاقة ولكننا لا نحتاج إلى منظومة الحلول التكنلوجية لتسهيل الاتصال والتنقل التي تعتقدون أنها هي مقياس الحضارة، جميعها اختراعات تساعدكم على التعايش مع قدراتكم المحدودة، حضارتنا تعتمد أكثر على الجانب العمراني والإنتاجي والمدني.

كانت سوسن تسألني دائماً عن السر الذي يحجب عالم الجن بكل ما فيه ومن فيه عن عالم الإنس، ذلك الحجاب الذي فشلت جميع الوسائل العلمية المتطورة من جهتكم في تخطيه ورصد أدنى دليل أو علامة تثبت أنكم لستم الكائنات الوحيدة العاقلة في هذا العالم، لدرجة أن الكثير منكم ينكرون وجودنا أصلاً. مشكلتكم غروركم، فكلما اكتشفتم جزئية علمية تافهة تعتقدون أنكم عرفتم أسرار الوجود وتنكرون كل مالا يستوعبه علمكم الضئيل. الحياة أعمق وأعقد بكثير من النظريات والمعادلات التي تحاولون أن تحشروا تحتها كل شئ! حاولت أن أشرح

ذلك لسوسن مراراً.. وسأجرب حظي معكم: الحياة عبارة عن مجموعة من الأبعاد المتداخله، أغشية تغلف بعضها البعض، أضيقها هو البعد الذي يحتوي عالمكم، نعم بكل ما فيه من كواكب ونجوم ومجرات! تسمونه العالم المادي لأنه ملموس محسوس بالنسبة لكم، تتابع الأبعاد التي تغلف عالمكم بعوالم أخرى لا تشعرون بها: عوالمنا، عوالم الملائكة، عوالم الأرواح.. كل عالم يشعر بالعالم أو العوالم التي دونه فقط. ولا يمكن الانتقال من عالم لآخر إلا بقدرات خاصه، يهبها الله سبحانه لمن يشاء، أو باستخدام السحر المطلق وأسرار بابل أو بالحصول على امتيازات العفاريت والمردة. أقصى ما توصلت إليه علومكم هو أنكم اكتشفتم للتو بعض نظريات الأبعاد المتعددة، شاهدت الأفلام الوثائقية مع سوسن، أقتربتم من حل اللغز من خلال النظرية التي سميتموها نظرية الأغشية أو الميمبرين. أعتقد أنكم بحاجة إلى بضعة عقود لإثبات وجود الأبعاد الأخرى الموازية لعالمكم بشكل علمي، لذا فلن أتعب نفسي الآن بمزيد من الشروحات المعقدة، فقط تخيلوا أننا عالمان متماثلان متوازيان نشعر بكم ولا تشعرون بنا. كما يهمني أن تعرفوا أن قدرة التجسد في العالمين هي السلاح الأقوى للعفاريت والمردة وهي تتفاوت من التأثيرات البسيطة

وإحداث بعض الأصوات أو التحكم في التيار الكهربائي أو الانبعاثات الحرارية والضوئية، وتصل إلى التجسد الفيزيائي الكامل في عالمكم المادي وهذا بالرغم من أن الكثيرين يدعونه إلا أنه نادر وقد راح الكثير من الجن ضحية محاولات التجسد وفي المقابل لم ينج الكثير من الإنس الذين انتقلوا لعالمنا.

كان الطريق للقصر متكدساً بالحرس، لا نكاد نقطع مسافة قصيرة بدون التحقق من هويتنا والتأكد من أن الملك في انتظارنا، القصر بحد ذاته كان عبارة عن مدينة صغيرة تعج بالشياطين والمردة، لم يكن قصراً فحسب وإنما مركزاً متكاملاً لتنظيم وتسيير شؤون ومشاريع المردة، بعد عبورنا من البوابة الرئيسية واجهتنا ساحة شاسعة في وسطها المبنى الرئيسي الذي يرتفع لمئات الطوابق على سطح الأرض وعشرات الطوابق أسفلها، وتناثرت حوله مجموعة من المباني بالإضافة إلى التماثيل العملاقة المنصوبة لملوك المردة والتي أتوا بها من مختلف الممالك، وتحت كل تمثال خطت عبارات بلغات لا أفهمها، أتذكر أنني رأيت بعضها عندما كان أبي يطلعني عليها، بعضهم عاش من آلاف السنين، نعم أتذكر هذا التمثال بالذات، إنه حنانيل، تمثال لمارد عملاق يحمل صخرة عظيمة على ظهره، نحتت الكثير من الرموز عليها، هذا كان من

مردة الملك سليمان ويحمل الكثير من أسرار مملكته.. اندهشت لدرجة أنني شعرت أنني أدخل عالم الجن لأول مرة! شعرت أنني أنتمي لعالمكم أكثر من عالمي.. لم أتوقع أن أجد كل هذا التنوع في مكان واحد، المردة والعفاريت من مختلف أنحاء الأرض، مختلف الأجناس والأعراق، وحتى الديانات، نعم قابلت الجن اليهود والمسلمين أيضاً، تتساءلون ما الذي أتى بالمسلمين بين مردة الشياطين؟ المصالح! مثلي تماماً، المسمى الديني لا يزكي أحداً، فمنكم من يتنطع بالإسلام ويمارس أعمالاً لا تمارسها أعتى الشياطين!

عند مدخل المبنى استوقفنا الحرس ونظروا إلي وكأنهم يعرفونني، وسألني أحدهم بطريقة روتينية صارمة:

"حوجن بن ميحال الفيحي؟"

أومأت برأسي إيجاباً، فشدني بغلظة، وازداد تشبث جمارى بذراعي ولكن الحارس الثاني سحب ذراعها بعنف فأطلقت صرخة ألم، فهجمت عليه لا شعورياً وقبضت على رقبته ورأيت عينيه تجحظان فهب زعنام لإيقافي وانقض علي مجموعة من الحرس لإبعادي عن زميلهم، واضطرب الموقف.. تركت رقبته دون أن أنزل عيني عن عينيه وقلت له وهو يتحسس آلامه:

"لو لمستها والله لأموتك!"

فرد علي دون أن يخفي صوته المختنق:

"رح نشوف مين يموت الثاني بعد ما تخلص المقابلة!"

أشار إليه رئيس الحرس بإشارة صارمة ليسكته ودفعني أمامه وهو يقول:

"بس حوجن مسموح له بالدخول.."

هتفت جمارى بهلع:

"حوجن! انتبه لنفسك! ربي يحميك!"

لم أسمع هذه العبارة سوى من أمي، يا ترى هل أسلمت جمارى؟ سألتها دون أن أفتح فمي، فقط بنظرة خاطفة وأجابتني هي بنظرتها الدامعة وأنا أبتعد عنها والحرس يمنعونها من الدخول، قالت لي عيونها أنها سلمت نفسها لي في كل شئ. حجبني عنها الحرس الذين تجمعوا حولي بعد أن أدركوا مدى خطورتي وأخذوا يقتادونني وبدأ قلبي يخفق من شدة الخوف، ليس الخوف على نفسي،

ولكن الخوف على سوسن وجمارى.. وازدادت دقات قلبي عنفاً وأنا أقترب من إيوان الملك هياف.. ملك المردة والشياطين!

(12)

أبي.. سأنتقم لك.. أو ألحق بك!

أنتم أيها البشر تحيرونني، تتشبثون بالحياة بكل شراسة بالرغم من أنكم لا تمكثون فيها سوى سنين قليلة، من يموت في التسعين عندكم معمر وعندنا شاب لم يستمتع بحياته بعد. تقضون سنينكم القليلة في الصراعات والنزاعات الطاحنة واللهاث خلف أطماعكم التي تطالونها -إن حالفكم الحظ- عند اقترابكم من لحودكم. الإنسان بطبعه جشع منوع.. يؤوس هلوع.. قنوط جزوع.. مع علمه أن أجله مقطوع.. وأنه لن يموت من جوع! لو كنت إنسياً وأعلم أنني لن أعمر سوى ستين أو سبعين سنة فقط، فسأقضي هذه السنين القليلة بين أحبابي، أشبع منهم قبل أن أفارقهم وأندم.. كما تندمون أنتم. راودني هذا الشعور وأنا أقترب من المكان الذي قد ألقى فيه حتفي، قد يكون هذا آخر أيام حياتي، أربعة وتسعون عاماً مرت أمامي سريعة، فيما عدا الأشهر الأخيرة التي مرت ببطء شديد وتوقفت تماماً عند صورتين ملأ تا وجداني: صورة سوسن التي ترقد في المستشفى بين الحياة والموت، وصورة جمارى التي تنتظرني بين المردة، كلاهما ليس لهما أمل في الحياة سواي.. إن كان هناك سبب يدعوني للتشبث بحياتي فهو أن أنقذ حياتيهما!

إيوان الملك يقبع في أسفل أدوار القصر، ساحة شاسعة مكتظة بمدرجات دائرية يجلس عليها حشد من أعيان المردة، تتوسطها طاولة مستديرة عبارة عن حلقة مفتوحة من ناحية بوابة الدخول، ارتص حولها وزراء المملكة وشيوخها، وفي الوسط تماماً مقعد تميز عن باقي المقاعد بارتفاعه وبعلامة منقوشة في أعلاه، علامة أعرفها جيداً، منتشرة عندنا، وعندكم أيضاً.. علامة إمبراطورية اللعين.

اقتادوني إلى وسط الطاولة الدائرية، هدأت الأصوات في الإيوان، وتطلعت الأعين تجاهي، شيوخ المملكة ينظرون إلي نظرات باردة، لا تبدو عليهم أي تعابير، أعتقد أنهم من المردة المعمرين، لا أستبعد أن يكون من بينهم من تجاوز عمره الألف سنة! دخل الملك هياف بحركة سريعة تنم عن جديته ونشاطه وانشغاله، اعتدل الحرس في وقفتهم ووقف الحضور فيما عدا الشيوخ الذين ظلت نظراتهم الباردة تجمدني في مكاني، جلس الملك هياف وأشار إلى الجميع فجلسوا وعم الهدوء والملك هياف متكئ بضجر يرمقني بنظرة متفحصة دون أن يتكلم، بدأت الهمسات المتوترة الخافتة في الإيوان.. أخرستها عبارة الملك المفاجئة بصوته الجهوري الأجش:

"حوجن.. ولد ميحال.. "

نظر إلى الشيوخ نظرة ذات مغزى ثم استطرد وهو يتكئ على الحروف:

"الفيحي..! إش اللي جابك هنا؟"

استرجعت كل ما أملاه علي زعنام، واستجمعت أطراف شجاعتي وأجبته:

"جيت أبلغك إني اتزوجت جمارى بنت عمي سنوطل.. وبأسلمكم أول مولود لي!"

بقي الملك هياف متكئاً بخده على يده يعبث بشيئ ما في يده، لم ينظر حتى إلي وهو يقول:

"وبعدين؟ اش المطلوب؟"

"تفك الربط عن سوسن الإنسية، وترجعوا فلوس أبوها!"

اعتدل في جلسته وبدأ يصفق ببطء:

"بصراحة.. كلا مك مقنع ومفحم.. اش رأيك بالمرة نسوي لكم حفلة زفاف إنت والإنسية؟ وأوظف لكم شوية مردة يخدموكم؟"

قهقه فجأ بضحكة عالية مستفزة، وضحك معه بعض الحضور رعباً من بطشه..

"لا.. بس تفك الربط عن سوسن، وتصرف المرده عن بيتهم.."

انتزعته إجابتي الصارمة من لحظته الصاخبه.. فضرب على الطاولة بعنف وصرخ بغضب شديد:

"لا يكون صدقت نفسك؟ أنا مستحيل أصدق انه عرق وادي فيح باقي له أي أثر بعد ما مات أبوك..!"

"أبويه انقتل!"

قلتها بغضب وتحد.. تلميحي واضح، ثأر أبي قضية أخرى لن أدعها تمر بسلام.. سأتفرغ لها بعد أن أضمن سلامة جمارى وسوسن! لم أكن أتوقع أن تربك ردة فعلي الملك هياف، الذي قال باضطراب:

"كيف قتلت شنن؟"

كيف عرف أنني أنا قتلته؟ ألم يقنعهم زعنام أن جدي قتله؟ وأنني تعاونت معه لقتل جدي؟ واصل الملك هياف وكأنه يقرأ أفكاري:

"لا يكون تحسب ولد عمك الأهبل ضحك علينا؟ قال إيه.. قال النفري الشايب قتل مارد.. لولا إني كنت أبغى أقابلك كان قتلت زعنام من زمان! ورينا كيف طلعت الصرخة؟ أثبت لي إني أقدر أستفيد منك عشان ما أقتلك وأقتل الإنسية حقتك!"

"ما أدري كيف طلعت!"

ألقى إلي بالشئ الذي كان يعبث به في يده، سقط ذالك الشئ بجواري، إنه أحد هواتفكم النقالة، هاتف قديم من أوائل الهواتف النقالة التي صنعتموها، كيف نقلوه إلى عالم الجن؟ التقطته، وتعجبت عندما أمسكته بيدي بسهولة، لأول مرة أمسك بشئ من عالمكم، كان في ذهن الملك هياف سيناريو آخر لي:

"سمعت إنك تلعب مع الإنس بأجهزتهم، تعرف تشغل هذا؟"

ألقيت به وأنا أهز رأسي نفياً، فصرخ غاضباً:

" يووووه! أجل إش فايدتك؟ أسمع يا حوجن، إنت عارف إنه المردة ما يقدروا يدخلوا بيوت الإنس بدون سحر أو عقد، وإنت عايش بين الإنس، تقدر تدخل أي بيت، عندك قدرات العفاريت وفوق كذا مسلم ما يأثر عليك القرآن! تعرف لو رضيت تتعاون معانا إش ممكن تكسب؟ ما تفرق معانا ديانتك وبتعبد مين، كل اللي أحتاجه عقد تعاون خمس سنوات بس! وأنا مستعد أجيب المردة اللي يعالجوا أكبر أثرياء الإنس من المغرب وأعالج الإنسية من السرطان.. ولو حبيت أخليك تتجسد في عالمهم بشكل أوسم إنسي وتتزوجها وتعيش معاها..!"

كان عرضاً مغرياً للغاية، ولكنني في المقابل يجب أن أكفر، لقد كفر الكثيرين قبلي من جن وإنس طمعاً في إغراءات المردة.. كانوا مقتنعين أنهم سيتوبون فور تحقيق مكاسبهم من

الشياطين، ولكنهم أصبحوا عبيداً لهم، ولن أرضى بالتنازل عن ديني ولو من أجل سوسن!

"أعطيك مهلة تفكر؟"

"أنا قررت.. ما أحتاج المهلة!"

"يعني موافق؟ نكتب العقد؟"

"لا! أرفض!!"

"دحين اتأكدت إنك ولد ميحال! راسك يابس زيه!"

التفت ونادى بأعلى صوته:

"يا راعاااان!"

أطل من خلفه مارد عملاق، بشع، وجهه مشوه، يبتسم ابتسامة تزيده بشاعة.. يحمل شيئاً أشبه بالسيف أو الفأس.. يجره من ثقله فيصدر صريراً مزعجاً أثناء احتكاكه بالأرض. اقترب مني ورمقني بعينيه التي فقدت إحداهما بريقها ولمعت الأخرى مع إغراء الملك:

"نفسك تصير وزير يا راعان؟ هذا حوجن ولد ميحال اللي شوه وجهك! هات راسه وخذ المنصب!.. آه سامحني يا حوجن نسيت ما أعرفك على راعان.. أقوى مارد عندي.. الوحيد اللي قدر يقتل المارد الخاين.. ميحال!"

إذاً هذا المسخ هو قاتل أبي! اقترب مني وهو يضرب بسيفه الأرض ويقول:

"أكيد وحشك أبوك.. ولا يهمك! كلها لحظات وتلحقه!"

زادت سرعة حركته فجأة فأصبح على بعد خطوة مني، وهوى بذلك الشئ على رأسي مباشرة، لم يكن هناك مجال للفرار، سيصيبني بسلاحه العملاق لا محالة.. اندفعت بكل قوتي نحوه وارتطمت به فترنح قليلاً ولطمني بيده لطمة ألقت بي على الطاولة الدائرية فتحطم جزء منها وجزء من جسدي. ارتبك الحكماء والشيوخ، فتسحبوا وغادروا القاعة مع مجموعة من الحضور بعد أن تحولت لساحة معركة شرسة! لم يأبه بهم الملك هياف الذي أخذ يتابع المعركة بجذل واستمتاع. اقترب مني راعان.. آلامي لم تسمح لي بالتحرك هذه المرة، رأيت سيفه يرتفع ويهوي تجاه عيني.. فأغمضتها.. الوقت الذي يحتاجه

ذلك الشئ ليشطر رأسي إلى نصفين لا يتجاوز أجزاء ضئيلة من الثانية، ولكنني خلالها رأيت وجه سوسن، رأيتها تضحك لي، هل كانت ضحكاتها تناديني؟ تودعني؟ تلاشت صورتها فناديتها بأعلى صوتي.. صرخت باسمها..

يفترض في هذه اللحظة أن أكون في عداد الأموات.. ولكن مع صرختي تغير كل شئ حولي.. شعور لا يوصف! وكأني انتقلت لعالم آخر.. لقد انتقلت لعالم آخر بالفعل! ظلام دامس، مياه باردة تغمرني من كل جهة، لا أستطيع أن أتنفس، أصارع المياه بكل قوة، يكاد قلبي ينفجر وأنا أستميت لدفع جسمي بين المياه لألتقط أنفاسي، لم أستوعب وقتها أنني تجسدت في بُعدكم، مملكة ملاج ليست إلا بقعة في قلب البحر الأحمر، لقد نجوت من سيف راعان لأغرق في أعماق البحر! ازداد عنف ضربات قلبي.. وقبل أن يتوقف انتقلت مرة أخرى لعالمنا. وجدت نفسي وسط الإيوان، تفصلني مسافة بسيطة عن راعان، نفس المسافة التي سبحتها وأنا في أعماق البحر، رأيته خلفي ينظر بدهشة للمكان الذي اختفيت منه، التفت نحوي فانقض علي بغضب وحوط عنقي بذراعه وسمعت الملك هياف يقول وهو يراقب راعان يمرر نصل سيفه على عنقي:

"سلّم لي على أبوك!"

شعرت بالسيف البارد على رقبتي، وتفجرت آلامي مع دمائي وأنا أحاول التخلص من قبضته، استجمعت ما تبقى لي من قوة وأمل، أخذت نفساً عميقاً وصرخت بكل قوتي، فشعرت بالمياه الباردة تتدفق داخل فمي وقبضة راعان لا تزال حول عنقي، ولكنني تخلصت منها فلم يستوعب هو مفاجأة الانتقال لعالمكم وتجربة شعور الاختناق والغرق. التففت حوله واعتصرت رقبته بكل قوتي، وهو يتخبط بعنف من الاختناق ومن المفاجأة، لم أصب بالذعر هذه المرة، كنت على يقين من أني سأعود لعالمي في الوقت المناسب، وفعلاً بعد لحظة اختفى الماء وسقطنا أنا وراعان وسط الإيوان بعد أن كانت الأمواج قد رفعتنا، تجاهلت آلامي وتوجهت نحو سيف راعان الذي وقع في المكان الذي كاد أن يذبحني فيه، تناولته، لا أعلم كيف استطعت أن أرفعه.. كان راعان يسعل بشدة ويزحف على بطنه، أعلم أنكم تتوقعون مني أن أبدي مواقف النبل والتسامح والعفو والأخلاق الكريمة، ولكنني لا أعرف النبل والتسامح في دم أبي!.. لم أتعمد قتل أحد من قبل، ولم أكن أتخيل أن التجربة ستمر بهذه السرعة، فقط رفعت ذلك الشئ.. تذكرت أبي للحظة.. وهويت به على جسد راعان الذي جحظت عينه

الوحيدة دون أن يبدي مقاومة.. وبسهولة انفصل رأسه وجزء من كتفه وذراعه.. أمسكت بذلك الجزء وأنا لم أستعد توازني بعد.. وألقيت به على حِجر الملك هياف وقلت:

"أبويه يسلم عليك.. وهذي هدية منه!"

(13)

حياتي وحياة إياد.. من أجل حياتك يا سوسن!

خرجت من ملاج شخصاً آخر يختلف تماماً عن الشخص الذي دخلها، خرجت أحمل عقد قراني بجمارى، وعقد اتفاقي مع الملك هياف الذي وافق على شروطي بعدما تأكد من قدراتي، قبل أن يصرف جني الربط عن دماغ سوسن طمعاً في الحصول على نسلي.. على ابني.. العقد ينتهي بعد مئة وخمسين يوماً بالضبط (فترة حملنا وإنجابنا)، لو لم يحصلوا عليه فسيقتلون الجميع بلا استثناء.. أنا وجمارى وسوسن وعائلتها.. أنظر إلى جمارى التي امتزجت همومها بسعادتها وهي تتبعني، لم تسألني حتى إلى أين سنذهب، لم تسألني أين سأسكنها، كيف سأصرف عليها، لم تأبه حتى أنها تزوجتني لتقدم فلذة كبدها قرباناً لإنقاذ إنسية لا تربطها بها أي علاقة سوى كون زوجها مهووساً بها.. هل توجد من بين بنات الإنس من تقدم تضحية بهذا الحجم؟

وصلنا اليتمة، لا أعرف كيف سأواجه أمي بكل ما حصل، لا أعرف كيف سيكون وقع الصدمة عليها، ليست صدمة وإنما صدمات، دخلت اليتمة متوجهاً لبيت شيخ اليتمة، أخو جدي إلياسين رحمه الله . هيئة جمارى وملابسها كانت توحي إلى أنها أتت من مكان لا يمت لليتمة بأي صلة عرقية ولا دينية، النظرات المرتابة التهمتنا، طرقنا الباب ففتح الخادم وانطلق

ينادي أمي فورما رآني، لا بد أنها تتمزق حزناً وقلقاً علي. مسكينة أمي، كم عانت بسببي، أتت راكضة لتستقبلني، وتباطأت حركتها عندما لمحت جمارى، فاختصرت أنا ما بقي من خطوات لأرتمي في حضنها الذي استقبلني بفتور، وانكفأت جمارى على يد أمي وقدمها تقبلهما وهي تقول:

"كيف حالك يا أمي؟"

أمسكتها أمي من ذراعها ورفعتها من انحناءتها أمام قدميها وهي تقول:

"الله يحييكِ يا بنتي.. اتفضلي.. اتفضلي.."

لا يستطيع شخص على وجه الأرض أن يصف عظمة الأم، إحضاري لجمارى لا يعني سوى أن هناك كارثة حصلت وكوارث أخرى ستحصل، ولكن أمي العظيمة استطاعت أن تمتص كل ذلك وتستقبل جمارى بكل لطف، الأم تعرف كيف تنسج عواطفها لمصلحة أبنائها، تقسو عليهم لتدفعهم دفعاً عن ما يضرهم، وإذا تضرروا تكون الملاذ الحاني لهم.. أما جمارى فقد حملت أمي على أكفها، عاملتها كملكة وأكثر، عاملتها كوالدتها، رأيت كل منهما تغدق على الأ خرى

بالعواطف التي حُرمت منها، عواطف الأمومة لجمارى التي لم تر أمها قط، وعواطف الابنة لأ مي. لم تسألني أمي عما حصل، احترمَت خشيتي من المواجهة فتركتني وتقبلت الأمر الواقع، ما أعظمك يا أمي. ما يهمنا هو أن يطمئن كل منا على الآخر، وكان صمتُنا كافياً لذلك.

حتى شيخ اليتمة تغيرت نبرته معي وبدا أكثر ترحيباً بوجودي بينهم:

"يا حوجن يا ولدي، أنا جهزت لك بيت تسكن فيه مع زوجتك وأمك، اعتبرنا أهلك.."

"سيدي الشيخ، ماني عارف كيف أرد جمايلك، بس أنا لازم أرجع للإنس وأنفذ وصية جدي إلياسين.. لازم أسافر الليلة"

"أوعدني لما تخلص ترجع تسكن عندنا.."

"أوعدك أزوركم كل ما ألاقي فرصة."

تمزقت أمي حزناً ونحن نغادرها، ألحت علي أن تأتي معي ولكنني رفضت وبشدة، لا يمكن أن أعرضها لأي مخاطر، قالت لي بعد أن يئست من توسلاتها:

"حوجن، أوعدني إنك بترجع لي بخير"

أعتصرت عبارتها قلبي وألجمت لساني فأجابتها جماري:

"لا تخافي على حوجن يا أمي"

نقلت أمي رجاءها لجماري وقالت:

"انتبهي على حوجن، وعلى نفسك يا بنتي.."

ضمتها جماري وهي تبكي وتقول:

"حوجن في عيوني يا أمي"

انضممت إلى حضنهما، وانطلقنا أنا وجماري، ليس لنا مكان نسكنه سوى بيت الدكتور عبدالرحيم، بيت سوسن.

طلبت من جماري أن ترتاح في الغرفة التي كنت أسكنها في حديقة المنزل ولكنها ألحت علي أن أريها غرفة سوسن، لحسن الحظ كان شباكها لا يزال مفتوحاً، الغرفة التي تكدست

بداخلها الأتربة لم يتغير فيها شئ منذ أن غادرتها سوسن، كانت الغيرة تلتهم ملامح جماري، فسوسن ابنة الإنس المدللة التي حصلت على كل شئ حرمت جماري منه، الأسرة، البيت، حنان الوالدين و.. حبي! وهي في المقابل تضحي بكل شئ أيضاً من أجلها.. كانت جماري تمرر يديها على مقتنيات سوسن وملابسها وأثاثها، لأول مرة تدخل بيتاً من بيوتكم، اقتربت من مجموعة الصور على مكتب سوسن، صور لها وهي طفلة يحملها أبوها على كتفيه، صور لها في حفلة عيد ميلادها، وصور لها مع صديقاتها وصورة تخرجها من الثانوية بين والديها، كانت جماري تحاول جاهدة حبس دموعها، لا أعلم إن كانت تلك الدموع حزن على سوسن أم غيرة منها..

"هذي سوسن؟"

أي رد من جهتي سيفضح لهفتي عليها ويفجر غيرة جماري فاكتفيت بالإيماء..

"معقول عمرها 23 سنه بس؟"

لم تطفئ إيماءاتي نار جماري، فواجهتني ونظرت إلى عيني مباشرة وهي تسألني بإلحاح..

"قول لي يا حوجن تحبها؟"

أشحت بنظراتي هارباً منها ولكن نظراتها طاردتني:

"جاوبني يا حوجن.. إنت تحب سوسن الإنسية؟"

"جماري، سوسن من عالم وأنا من عالم! أنا ورطتها مع المردة وبأنفذ وصية جدي إني أخلصها وأخلص أهلها منهم.. أما إنتِ يا جماري بنت عمي و.. زوجتي!"

"بس؟!"

أعرف أن إجابتي فشلت في جبر خاطرها، بل حطمته تماماً.. حاولت أن أرقع إجابتي ولكن كرامة جماري رفضت ترقيعي:

"أعتقد إني تعديت حدودي.. لازم تروح تطمّن عليها.."

أشاحت بوجهها ونزلت إلى الحديقة لتطلق العنان لدموعها.

يجب أن أتصرف بسرعة، أهم شئ الآن هو أن أصل إلى الدكتور عبدالرحيم قبل أن يذبح التيس، الملك هياف وعدني أن يصرف المارد عن دماغ سوسن، ولكن لو تم ذبح التيس

فسيصبح الدكتور وأسرته تحت سيطرة اللعين وشياطينه!

انطلقت إلى المستشفى، خرجت سوسن من غرفة العناية المركزة ولكن أسرتها لم تخرج من الصدمة، ترقد على سريرها، اختفت كل الأنابيب، ما عدا ذلك المتصل بوريدها، الدكتور يطمئن والدها:

"الحمدلله حالتها مستقرة، اليوم أول مره تفوق من غيبوبتها، اختبار الوعي والإحساس إيجابي، رح نخليها هنا يومين كمان عشان نطمئن عليها، وبعدها تقدر ترجع البيت ونبدأ في كورس العلاج الكيماوي.."

قاطعه الدكتور عبدالرحيم بمزيج من الأمل واليأس:

"يعني فيه أمل يا دكتور؟"

"الأمل بيد الله، والطب يتطور يوم بعد يوم، خلي أملك بالله كبير يا دكتور.."

"ونعم بالله.. ونعم بالله.. الحمد لك يا رب والشكر.."

كان الإثنان يقفان عند باب الغرفة ويهمسان والسيدة رجاء نائمة على الكرسي الذي لم تذق النوم على غيره منذ أسابيع..

تلقى الدكتور عبدالرحيم اتصالاً فاستعجل في توديع الدكتور ليرد على الاتصال الذي أربكه جداً فخفض صوته وهو يتحدث:

"ايوه ايوه يا أبو عطيه، قلت لك المبلغ مو كامل! ماني عارف أدبر الباقي! أخذت ثلاثه قروض من البنوك وقرض من العمل ورهنت البيت وبعت السيارة واستلفت من كل اللي أعرفهم"

اكتست ملامحة بالرجاء وهو يواصل:

"بس مليونين كثير يا أبو عطية! عندي مليون ونص تقريباً ما ينفع ياخذهم وأوعده أسدد له الباقي بعدين، بنتي بتروح مني!.. تسلم يا أبو عطية.. ماني عارف أودي جمايلك فين!"

ذلك الوغد أبو عطية لا بد أن أصل إليه وإلى صديقه المشعوذ قبل فوات الأوان!! ولكن كيف؟ لا بد أن أرى رقمه، مددت يدي بانفعال إلى الهاتف بعد أن أبعده الدكتور عن أذنه، قبضت بيدي عليه، فأحسست به! نعم! قطعة صلبة ملأت كفي.. سحبته فتحرك في يدي وأفلت من يد الدكتور عبد الرحيم الذي

ألجمه الرعب! نظرت إلى الشاشة فرأيت أن المكالمة انتهت، فضغطت على زر الاتصال وظهر أمامي اسم أبو عطية ورقمه ولكن الجهاز انسل من يدي وسقط، حاولت أن ألتقطه ولكن بلا فائدة، لم يلبث في يدي سوى لحظة كانت كافية أن أحفظ رقم أبو عطية! سقط الجهاز على الأرض وانطلق منه صوت أبو عطية المتوتر ولكن الدكتور عبدالرحيم لم يتجرأ حتى على التقاطه.

كل ما يمكن أن يوصلني بعالمكم الآن هو رقمان، رقم أبو عطية ورقم إياد.. لم أخبركم كيف حصلت عليه، في تلك الليلة عندما حاولت التواصل مع خلود وظهر أمامها رقم سوسن وأصيبت بالذعر ورمت بجهازها، حاولت جاهداً أن أرفعه، أو حتى أن ألمسه، محاولاتي اليائسة وأنا أحرك أصابعي على شاشته بدأت في تحريك قائمة الأسماء، واستطعت أن أصل إلى إياد باستماته، وحفظت رقمه.

الآن حان الوقت أن أستعين به لإنقاذ سوسن، تأثيري على عالمكم شبه معدوم، كمن يشاهد فيلماً سينمائياً ويحاول تغيير أحداثه، لا بد أن أصل لأحد الممثلين ليعاونني على صياغة الأحداث.. لابد أن أصل لإياد!

عدت إلى البيت، جمارى لم تنم طبعاً، جلست بجوارها، ضممتها، فأنا مدين لها بحضني.. لم يبق لها غيره، ولم يبق لي غيرها.. شعرت أن جبل همومي وأحزاني تنحى عني قليلاً خجلاً من حضننا. نامت جمارى ببراءة طفلة تعبت من اللعب. دخلتُ بيت الدكتور واتجهت فوراً إلى الهاتف في غرفة الجلوس، استجمعت قواي، حركت يدي على الهاتف إلى أن تحرك ووقع على الأرض، التقطته قبل أن يقع، رفعته وبكل سرعه وتوتر أدخلت رقم إياد، فشلت في المحاولة الأولى قبل أن أدرك أنني يجب أن أعكس الأرقام من اليسار لليمين، سمعت صوت النغمة المتقطعة قطعها صوت إياد:

"ألو؟ مرحبا.."

"إياد؟ إنت إياد؟ تسمعني؟"

كنت أتكلم ولكن إياد لا يجيبني، كنت أهز الهاتف في يدي وأصرخ، وفجأة انطلقت صرختي باسمه فرد علي بذعر:

"ايوه أنا إياد؟ مين إنت؟ اتكلم إنت مين؟"

في تلك اللحظة سمعت صوت السيارة، لقد عاد الدكتور وهتان، فقلت لإياد بكل توتر وتوسل:

"ادخل الفيسبوك عشان سوسن!"

تركت السماعة فوقعت في اللحظة التي فتح فيها هتان الباب فزع الاثنان وصرخ الدكتور وهو يفتح الأنوار:

"مين هنا؟ مين؟"

ليس لدي وقت لأضيعه، فانطلقت إلى غرفت سوسن وأنا أدعو الله أن يكون في بطارية الآيباد ما يكفي للحديث مع إياد، مددت يدي للآيباد، ضغطت الزر فأضاءت شاشته، حركت أناملي عليه باحثاً عن الفيسبوك، فتحته بمعرف سوسن وبالفعل وجدت إياد فبدأت الحوار معه:

"إياد.."

"مو معقول! إنت مين؟ هتان؟"

"لا.. أنا بأحاول أنقذ حياة سوسن.."

"إنت مين؟ اتكلم!"

"القصة طويلة، بس قبل لا تعرف أي شي لازم تجاوبني: حياة سوسن تهمك؟ "

"طبعاً تهمني!"

"لأي درجة؟"

"أكثر مما تتخيل.. بس إنت مين؟"

ضايقتني كلماته، طعنت غيرتي مرة أخرى، ولكن طز في غيرتي.. طز في حياتي كلها من أجل حياة سوسن!

"أنا حوجن!"

توقف إياد عن الرد فضح رعبه وفضح أنه على اطلاع بالقصص التي راجت في الكلية عن سوسن وعشيقها الجني.. شجاعة إياد هي الأمل الوحيد لإنقاذ سوسن ولن أسمح له بأن يتخاذل، حتى لو اظطررت لتهديده. أخرجته من صمته:

"خايف مني؟"

"لا! كيف أقدر أساعد سوسن؟! أنا مستعد أسوي أي شي مهما كان!"

"مهما كان؟"

"مهما كان!"

"حتى لو لمستك؟"

"لمستني؟"

"أتلبسك! عشان أقدر أتعامل مع عالمكم وأساعد سوسن.."

كنت أتوقع رفضه، أو هروبه، أو حتى صمته.. لكنه فعلاً فاجأني وفي نفس الوقت فجر غيرتي:

"تعال يا حوجن، أنا مستعد أضحي بعمري عشان سوسن!"

(14)

جنون جماري

أنا الآن في أمس الحاجة إلى تركيزكم، قبل أن أواصل لا بد أن تفهموا معنى التلبس، ومرة أخرى القضية ليست أبداً بالسطحية التي تتصورونها فاعذروني مسبقاً على أي تعقيد وغموض، سأحاول أن أبسط شرحي قدر الإمكان.. بُعدكم أبسط من بُعدنا بكثير، الإنسان عبارة عن منظومتين متمازجتين: منظومة مادية بدائية يمثلها الجسم الذي يتكون من مجموعة من الأعضاء البيوكيمياميكانيكية ليس فيها أي تعقيد سوى في الدماغ الذي يحوي مراكز التحكم والسيطرة المرتبطة بالمنظومة التي تنتمي للبعد الأسمى.. المنظومة الروحانية! لقد تطورت علومكم المادية كثيراً في حين تبلدت علومكم الروحية، حتى الشعائر الدينية التي يفترض أن تكون مفعمة بالروحانية قتلتموها فأصبحت طقوس وطلاسم ميتة بلا روح.. كسائر أموركم الحياتية. كل روح مرتبطة بجسدها تسيطر عليه من خلال الدماغ، تتراخى هذه السيطرة أو تتلاشى أثناء النوم والغيبوبة حيث ينفصل الإدراك الروحي عن مراكز التحكم في الدماغ ويسبح في البعد الأسمى، وعندما تحفز تلك المراكز تستدعي الروح التي تعود فوراً للسيطرة على جسدها، تنقلات الأرواح في البعد الأسمى لحظية، لا تكاد تحدها حدود زمانية أو مكانية، ولكن استيعاب

خلايا مراكز التحكم في الدماغ لعودة الروح تكون بطيئة أحياناً.. وأحياناً تكون معطلة لدرجة تجد الروح صعوبة في الارتباط مرة أخرى بذلك الجسد فتحصل الوفاة، هذا سبب الكثير من وفياتكم الغامضة، وفي المقابل ينجو الكثيرون من موت محقق بسبب تشبث أرواحهم بأجسامها وقدرتها على التحكم بأدمغتها.

ما يحصل أثناء التلبس هو ببساطة نوع من السيطرة على مراكز التحكم في الدماغ البشري في أثناء غياب جزئي لسيطرة الروح، وبالمناسبة أنتم تمارسون نفس الشئ فيما بينكم تحت مسمى التنويم المغناطيسي، وأحب أن أعلمكم أيضاً أن أكثر حالات التلبس التي تواجهونها ليست إلا تلبس ذاتي، نوع من الاضطراب الروحي حيث تقنع الروح نفسها أنها شخص آخر وتتقمص الدور ويصدق الجميع أنها تحت تأثير المس رغم أن الجن لا دخل لهم بها إلا في بعض حالات الشياطين الذين يوسوسون للروح لإيهامها بالتلبس، أي أن أكثرها ليست سوى نوع من الشيزوفرينيا، وهذا يبرر انتشارها بكثرة بين المهووسين بأمور الجن والشعوذة، بينما أكثرها وهم أو دجل أو تحايل باسم الغيبيات لدوافع شخصية، فمنكم من يقترف الجرائم وعندما يفتضح يدعي أنه كان تحت

تأثير مس الجان ليخدع السذج.. وما أكثرهم! حالة التلبس الحقيقية تحتاج إلى تهيئة العديد من الظروف فالشخص الذي يتم تلبسه لابد وأن يكون في حالة بين الوعي واللاوعي، كما في حالة الانفعالات العاطفية القوية، كشدة الخوف أو الحزن أو الفرح، ولا بد أن يكون الجني مرن في التعامل مع الدماغ البشري، وهذه مسألة ليست سهلة أبداً.. لا بد من التدريب المتواصل إلى أن يتقن الجني التحكم التام في الجسد البشري.

سأعود للقصة الآن، قد أستطرد في شرح هذه الأمور في وقت لاحق كما شرحتها لإياد الذي لم يكن مهتماً بمعرفة كل هذه التفاصيل بقدر اهتمامه بمساعدة سوسن، أرسل لي خريطة بيته، أو بالأصح قصره! والد إياد الأستاذ منصور الزايدي، من عباقرة رجال الأعمال، انتقل إلى جدة منذ أن كان إياد طفلاً لمتابعة مجموعة مشاريعه العقارية في جدة ومكة، إياد ليس له سوى أخ وحيد من أبيه يكبره بعشرة أعوام وتزوج واستقر في الخارج، فبالتالي انصب دلال الأستاذ منصور وثروته على إياد، ليس ذلك فحسب بل انصبت آماله أيضاً على إياد ليمسك بزمام إمبراطوريته، إياد بطبيعته شاب مندفع يعشق الحياة التي حصل فيها على كل ما يحلم به أي شاب

الصحة المال الوسامة العقل والأخلاق.. عارض والده في دراسة إدارة الأعمال وأصر أن يخوض المجال الطبي ثم يحضر الماجستير في إدارة الأعمال ليوفق بين طموحه وطموح أبيه.

وصلت إلى ذلك القصر في منطقة أبحر أقصى شمال جده في خلال دقائق بسيطة، فتح إياد باب القصر ووقف أمامه ينتظر، الظاهر أنه يسكن ذلك القصر وحده مع الخدم بسبب سفر والديه المتكرر، اقتربت من إياد، استجمعت تركيزي لأقتحم عالمكم وهمست بقربه..

"إياد.."

كنت أتوقع أن يصاب بالرعب، أو أن يتفاجأ على الأقل، ولكنه أجابني بكل هدوء وثقة:

"اتفضل يا حوجن.."

مشى أمامي وكأنه يراني.. تبعته إلى الصالون.. جلس علي الكنبه وأشار إلي لأجلس في الكنبة التي بجواره:

"ماني عارف كيف أقدر أضيِّفك.. بس أعتبر البيت بيتك."

"لا تشيل هم.."

عكس المرة الأولى كان كلامي سلساً وواضحاً ومسموعاً، كنت أسمع صدى صوتي يردده رخام المجلس وحيطانه فتأكدت أنني أصبحت قادراً على الكلام بسهولة وطلاقة دون الحاجة لأجهزتكم!

كان إياد ينظر باهتمام تجاه الكنبة التي أشار إليها وكأنه ينظر إلى شخص حقيقي، وأنا قدرت ذلك بالرغم من أن نظراته لم تكن موجهة لعيني، بادرني بالسؤال الذي يلتهم قلبه:

" حوجن أبغاك تشرحلي كل شي.. كل شي بالتفصيل.."

"القصة طويلة يا إياد.."

"أنا ما ورايا غيرك!"

قضيت قرابة الساعتين وأنا أحكي القصة بتفاصيلها لإياد وهو صامت، ينظر للفراغ الذي على الكنبة ويحبس دموعه المتحرقة على سوسن.. توقفت عن الحديث فسألني وهو يتناول هاتفه..

"كم رقم الزفت أبو عطيه؟"

اتصل بالرقم وأنا أمليه، وتحولت نبرته الغاضبة إلى نبرة هادئة واثقة فجأة:

"السلام عليكم، أبو عطية؟ كيف حالك؟"

"وعليكم السلام.. هلا مين معايه؟"

"أنا إياد الزايدي، أهل الخير دلوني عليك، قريبنا من يوم ما سكن بيته بيشوف كوابيس ويده تنمل، فقالوا لنا انه البيت فيه نفس وانك تعرف شيوخ يقدروا يساعدونا.."

"إنت إياد الزايدي؟ ولد نورة عبدالمحسن؟"

"لا يمكن ملخبط، أنا والدتي منال العقيل"

كدت أن ألقي بالهاتف من يده قبل أن يتفوه باسم أمه ولكن فات الأوان للأسف! فأنهي الخبيث أبو عطية المكالمة باقتضاب:

"طيب معليش عشان أنا مشغول الآن باسجل رقمك وأكلمك أول ما أفضى!.."

بادرت إياد فور انتهاء المكالمة:

"ليه قلت اسم أمك؟!"

"ايش فيها؟"

"هذا الخبيث شكله متمرس في مواضيع الشعوذة، طلب اسم أمك عشان يسأل المردة عنك ويتأكد إنك ما بتجهز كمين! دحين حيعرف وحيحسب ألف حساب، ما حنقدر نوصل له!"

"يعني ضحك علي الحيوان! بسيطة.. ما أكون إياد لو ما جبت لك خبره!"

"طيب أهم شي نستعد للمواجهة مع المشعوذ موسى والمردة اللي معاه، لازم نوقفهم عند حدهم قبل لا يذبحوا التيس! لازم نتدرب على التلبس.."

"طب ليش التلبس؟ أنا أقدر أواجههم وأبلغ عنهم الشرطة وأرميهم في السجن!"

"أولاً لو دخّلنا الشرطة رح يتورط الدكتور عبدالرحيم، وثانياً إنت ما تقدر تشوف المردة اللي مع المشعوذ وما تقدر تأثر فيهم!"

"يعني لما تتلبسني حاقدر أشوفهم؟"

"أنا اللي حاشوفهم وفي نفس الوقت حاقدر أسيطر على جسمك عشان أتعامل مع الإنس، أنا إلى الآن ما اتمرنت على التجسد الكامل في عالم الإنس، ولما أنتقل لعالمكم أحس بضعف وبرد وكتمة وما أقدر أقعد فترة طويلة.."

"يعني جسمي رح يصير زي السيارة بالنسبة لك.. رح تصير تملك قوتي كلها!"

"بالضبط، ورح أطلع قوتك الباطنة.."

"الباطنة؟"

"يعني قوتك بكاملها! البشر ما يستخدموا غير جزء بسيط من قدراتهم الجسمانية، أما طاقتهم الباطنة، أو الكامنة فتتفجر في المواقف الحرجة.."

"يعني شغل أدرينالين ونورادرينالين! حماس!! أنا جاهز.. كيف نبدأ التدريب؟"

"لازم تكون في حالة بين الوعي واللاوعي.. وضروري تكون بعيد عن أي أشياء صلبة أو حادة.."

"طيب اللاوعي وفهمناها.. بس اش حكاية الأشياء الصلبة؟"

"الدماغ عضو حساس، وعملية التلبس في البداية تصاحبها اضطرابات في كهرباء الدماغ وبالتالي نوبات تشنج وصرع.."

"طب هذا ما فيه خطورة على القلب؟"

"على فكرة أنا دكتور زيك.. لا تخاف رح أنتبه!"

بحث إياد في صيدلية المنزل ولحسن الحظ وجد الترامادول الذي يستخدمه والده لتسكين الآلام والذي يسبب حالة من

الخدر فتناول قرصين وخرجنا إلى حديقة المنزل.. تربع في وسطها كأنه يمارس اليوغا عض على منشفة بين أسنانه وأغلق عينيه، راقبت ألوان طاقته، حسنٌ لن أدخلكم في دهاليز علمية أخرى باختصار نستطيع أن نرى الطاقة المنبثقة منكم والتي تبين لنا الكثير عنكم، بدأ مفعول الدواء فتحركت بسرعة قبل أن يسيطر النعاس على إياد، جلست مكانه تماماً وأغمضت عيني وركزت على خفوت طيفه البنفسجي، يجب أن أحرص على أن لا أتجسد في عالمكم أثناء المحاولة وإلا سأقتله، شعرت برجفة شديدة في جسدي وأنا أنظر إلى يديه وهي ترتجفان وتتقلصان، ازداد شعوري بالرجفة، أدركت للتو أنني أشعر برجفته هو.. تصلبت سيقانه، شعرت بالألم الشديد في أنحاء جسمي، حاولت أن أفتح يديه بلا فائدة كانت الرجفة تزداد وعينيه نصف مفتوحة ومتصلبة للأعلى وسيقانه تضرب الهواء بشدة وأنا أشعر بكل ذلك!! أشعر بكل التفاصيل، أشعر بخفقان قلبه بشده داخل صدري.. لابد أن أتوقف قبل أن أؤذيه.. ابتعدت عنه بهدوء، زال إحساسي برجفته، ولكن رجفته استمرت، بل ازدادت، تحول وجهه للون الأزرق وسالت رغوة بيضاء من بين شفتيه، لا بد أن أفيقه قبل فوات الأوان! بعد أن تأكدت أنني غادرت جسده ناديته بأعلى صوتي فلم يستجب!

تجسدت في البعد المادي أمسكته من كتفيه هززته بقوة وأنا أناديه، أملته على جانبه، هدأت تشنجاته، استعاد وعيه ببطء، وتحدث إلي بصعوبة:

"هاه زبطت؟ كيف كان التيست درايف؟"

يستطيع أن يمزح وقبل لحظات كاد أن يودع الحياة!

"لازم نتمرن أكثر من مره!.. تقدر تقوم؟"

نظر بعينين متثاقلتين إلى مصدر صوتي ومد يده وهو يقول:

"تقدر تقومني؟"

مددت يدي المتجسدة، قبضت على كفه لأ ساعده على النهوض.. فبادرني:

"تعال بكره نكمل..!"

"نام كويس.. لازم جسمك يكون مرتاح!"

"استنى لازم أعطيك حاجة.."

دخل البيت وعاد بسرعة ليناولني هاتفه المحمول:

" ما أدري تقدر تشيل هذا الجوال معاك؟ خذ هذا جوالي الاحتياط عشان تقدر تكلمني أي وقت.."

تجسدت، تناولته.. نظر إليه وهو يرتفع بمحاذاة أذني فلاحظ طولي..

"حسبتك عملاق يا راجل.. طلعت قليَل!"

"خلينا نجرب.."

دقيت على رقمه الذي أحفظه عن ظهر قلب.. تناول جاوله الآخر..

"أهه Dr. E Z يتصل!"

"دكتور إي زي؟ إياد الزايدي؟"

"طبعاً.. اسم فله!!"

توقف تجسدي، فعدت وعاد الجوال معي في يدي، في عالمي، حاولت أن أضرب الرقم ولكن الشبكة اختفت من الجوال، لا بد أن أتجسد كي أتصل..

" من الآن وصاعداً ما رح أستغرب من أي حركة سحرية! شفت جوالي يختفي أمام عيني، طلعت كلها حركات بسيطة! خلاص أنا أسد الفواتير وإنت دبر نفسك في شحن البطارية، بس لا تطفرني بمكالمات دولية لخويتك في بلاد الجن والعفاريت.."

ذكرتني دعابته بجمارى، فودعته وعدت إلى بيتي، بيت سوسَن.. بصراحة أخذني الوقت لدرجة أنني نسيت وجود جمارى لوحدها كل هذه المدة، فزعت عندما لم أجدها في غرفتنا في الحديقة، توجهت فوراً إلى غرفة سوسن، فأنا متأكد أنها عادت إليها.. دخلت من شباك الغرفة فرأيت آخر شئ أتمنى رؤيته في هذه اللحظة.. رأيت سوسن!!

سوسن تجلس على طرف السرير، تلبس مجموعة من ملابسها بشكل غريب جداً، قميص مقلوب فوق أحد الفساتين وتحته جينز، كانت تحمل إحدى الصور بيد وبالأخرى تعبث بألوان المكياج على وجهها بشكل مضحك وكأنها طفلة، إنها جمارى! جمارى متجسدة بشكل كامل في عالمكم وتقلد سوسن! موقف لا أستطيع وصفه، التفتت إلي وابتسمت وهي تقول:

"حوجن إنت جيت؟ إش رأيك في شكلي؟"

لقد جن جنونها! بل جن جنوني أنا! لماذا تفعل كل هذا بنفسها؟ هي أجمل مخلوقة رأتها عيناي! لماذا تشوه نفسها هكذا؟

"جماری اش هذا؟ أخرجي بسرعه قبل لا أحد يشوفك!"

تجاهلتني وهي تنظر لصورة سوسن بين صديقاتها وتقلد مكياجهن..

"لحظة بس باقي شويه وأكمل.."

سمعت خطوات أقدام تقترب من الغرفة..

"جماری فيه أحد جاي! يللا نخرج بسرعه!!"

لم تستجب.. بل تأملت وجهها في المرآة وهي تقارنه بوجوه البنات في الصورة

"يعني ما عجبتك يا حوجن؟!"

لم أتمالك نفسي.. تجسدت في اللحظة التي فتح فيها الباب وأطل الدكتور عبدالرحيم بقلق ورعب، أضطررت أن أصفع جمارى وأسحبها لبعدنا ولكن بعد فوات الأوان، رأيت نظرة

الرعب في عيني الدكتور بعد أنا رأى ابنته بهذا المنظر تختفي أمامه وتسقط ثيابها وصورتها على الأرض..

لم أتكلم مع جمارى كلمة واحدة، ولم أسمع منها سوى صوت دموعها، جمارى.. عفريته؟ ولكن كيف؟ لماذا لم تخبرني؟.. كان قلبي يتمزق حزناً عليها، لأول مرة أحزن على شخص أكثر من حزني على سوسن، حاولت سحبها لحضني، فرفضت لشدة غضبها.. نظرت لعينيها مباشرة.. مسحت دمعتها، فتفجر نهر دموعها وعادت لتدفن رأسها في صدري.. وأنا أمسح على رأسها وخديها..

"سامحيني يا جمارى.. سامحيني.."

(15)

سيطرت على إياد.. واللامبرغيني

أعتقد أن هناك علاقة قوية بين الأنوثة والطفولة، فالأنثى مهما نضجت لا تبتعد كثيراً عن تلك الطفلة بداخلها، الطفلة التي لا تستطيع السيطرة على دموعها ولا على دلالها، ولو تمردت على طفولتها فهي تتخلى عن بعض أنوثتها! وجماري بهذا المفهوم أنثى بامتياز.. هدأت دموعها ولكنها لم تتوقف، لم تكفي بقايا دموعها لتنفيس آلامها فقررت أن تنفس عنها بكلماتها، كانت تتكلم دون أن ترفع رأسها عن صدري.. ودون حتى أن أرد عليها بكلمة واحدة.. طفلتي الآن ليست بحاجة إلى عقلي ومنطقي.. فقط تحتاج إلى قلبي ليصغي لها ويمتص دموعها..

"طول عمري وحيدة! محرومة من حنان أمي.. وأبويه ما عوضني عنها غير بقسوته! كرهت أهلي كلهم، كنت أهرب منهم عشان ألعب لوحدي، الوحيد اللي كان يحن علي هو عمي ميحال.. ما كنت أدري إنه فيه عوالم غير عالمنا، إلين ما زادوا الإنس في قمّاح، كنت أشوفهم يوقفوا قواربهم عشان يرتاحوا بعد الصيد، كنت أصحى من قبل المغرب عشان أراقبهم من بعيد، حاولت ألفت انتباههم بكل الطرق.. ما قدرت، في يوم دخلت سفينه أتفرج، وأنا في المخزن

اتقفل علي الباب، اترعبت.. حاولت أفتحه ما قدرت! حاولت أخبط ما قدرت، بعدين من رعبي حسيت ببروده وكتمه وكنت متأكده إني رح أموت.. قعدت أخبط على الباب، وهذي المرة حسيت بخبطة الباب على يدي عورتني، وسمعت صوتها.. كانت أول مرة أتجسد في عالم ثاني.. فتح الباب ولقيت قدامي حسين، إنسي صغير غريب، كان يقدر يحس بي ويسمعني حتى من غير ما أتجسد ولا أتشكل، كنت دايماً ألعب معاه، تعلمت منه طبايع الأنس ولغتهم. وفي فترة بسيطة صرت أقدر أتجسد بسهولة من غير ما أنكتم، وصرت أقدر أتشكل لما أقابل حسين، كنت لما أوصل للمينا أرمي حجار على السفينه عشان حسين يعرف إني جيت، ولكنه بعد فترة اختفى، قلقت عليه، صرت أدور عليه في السفن لما تجي بدون فايده، حتى أبوه اختفى.. وبعد فترة لمحت أبوه واقف على سطح السفينة والناس متجمعين حوليه، طلعت السفينة وسمعتهم يقولوا له: عظم الله أجركم.. لله ما أخذ ولله ما أعطى.. وهو يبكي.. عرفت إن حسين مات بالحمى.. جلست أبكي على السفينه، وانطلقت

وأنا عليها بدون ما أحس.. ما انتبهت إلا لما بعدنا عن قماح.. اتشكلت على شكل إنسية واتخبيت، وصلنا قرية القَصار ولقيت نفسي وسط الإنس، كلهم مستغربين مني يسألوني عن أهلي وأنا أبكي، إلين ما جاهم عمي ميحال متجسد على شكل شيخ وفهمهم إنه جدي، ورجعني البيت، في الطريق حلفني ما أقول لأحد إني أقدر أتجسد أو أتشكل، لأنهم لو عرفوا ما رح يسيبوني. إنت أول واحد يدري إنه عندي كل قدرات الفيحيين بعد عمي ميحال، حتى زعنام ما يدري، أنا وإنت الوحيدين اللي نملك قدرات الفيحيين يا حوجن."

الآن فهمت سر رغبة أبي في زواجي من جماري، للمحافظة على نقاء النسل الفيحي.. تثاقل رأس جماري على صدري وتثاقلت آخر كلماتها.. قبل أن تستسلم طفلتي للنوم.. وأسلم نفسي أنا له..

لم تمر سويعات حتى انطلقت موسيقى مزعجة فجأة فاكتشفت أن مصدرها جوال إياد، تجسدت بسرعة لأرد قبل أن يوقظ جماري..

"إياد؟"

"المفروض تشوف المتصل قبل لا ترد يا كابتن! لا تروح ترد على أحد ثاني بالغلط وتودينا في داهية.. المهم تعال خلينا نكمل تمرين!"

جمارى التي استيقظت على صوت الهاتف المزعج اعترضتني وأنا أهم بالذهاب:

"فين رايح؟ إنت ما لحقت تنام!"

"رايح لإياد!"

"حاروح معاك!"

"لا خليكي هنا، لازم أحد منا يجلس هنا، ممكن المشعوذ يجي في أي لحظة.."

"طب لو جا المشعوذ اش أسوي؟"

ناولتها هاتف إياد..

"هذا جوال، تقدري تستخدميه بكل سهولة.. هذا رقم إياد.. أضغطي عليه عشان تكلميني لو حصل شي"

انطلقت إلى إياد، دخلت من بوابة القصر فوجدته جالساً على الأرض أمام شاشة تلفزيونه العملاقة وحوله كومة من الأفلام المبعثرة، عندما دخلت قال لي وكأنه يراني:

"أجلس يا حوجن؟"

"كيف عرفت إني وصلت؟.."

"خلاص أنا صرت أعتبر مخاوي ومحترف للخوارق وما وراء الطبيعة!.. أوكي لا تصدق.. قلت أتفضل يا حوجن عشر مرات واتخيَّشت إلين ما حضرتك شرفت وزبَطت!"

"عيونك كأنها جمر.. إنت ما نمت؟"

"لا طبعاً! من فين بيجيني النوم بعد اللي حصل؟.. لك في الأفلام يا حوجن؟"

"عالمنا ما فيه سينمات!"

"ضحكتني! حتى إحنا ما عندنا سينمات! تعال شوف هذي كل الأفلام اللي تتكلم عن الجن والأرواح والتلبَس.."

شاهدت معه مجموعة من اللقطات لأفلام أجنبية للمتلبسين والقساوسة الذين يخرجون منهم الجن.. فبادرني بسؤاله:

"نفس الشي بيحصل عندنا، فيه بزنس كبير يعتمد على تطليع الجن والسحر والعين.. شايف اللي بيحصل للمتلبسين؟ أنا بيحصل لي نفس الشي صح؟"

"صح.. لكن هذولا ماهم متلبسين!"

" إنت بتجنني؟ شوف اش اللي بيحصل لهم، بيتنفضوا ويسووا حركات غريبة ويتكلموا كلام غريب بأصوات مرعبة.."

"أكثرها تقمص.. مو تلبس!"

"يعني أنا دحين جالس بأكلم نفسي وأتقمص دور إنه فيه جني جالس جنبي يطق حنك؟"

"لا طبعاً.. بس لازم تفهم إنه الروح.. أو خلينا نقول العقل الباطن له أسرار كثيرة وقدرات كبيرة..

أي منوم مغناطيسي مبتدئ يقدر يخليك تقتنع انك ضفدع مثلاً وتتصرف زي الضفادع.."

"يعني ما فيش حاجة اسمها سحر وعين ومس؟"

"طبعاً فيه، بس مو بالطريقة دي، تلاقي ناس عايشين حياتهم موسوسين انه كل مشكلة يواجهوها سببها عين وسحر ويلجأوا للناس والجن عشان يعالجوهم من أمراضهم الوهمية، وناس يسترزقوا من ورا جهلهم وقلة إيمانهم"

"أسمع، أنا باقيلي تكه وأفصل! قول لي كلام علمي أفهمه!!"

" روحك.. أقصد عقلك الباطن يقدر يسيطر على كل شي في جسمك.. أهم شي تقدر إنت تسيطر عليه! كيف تفسر تشابه طقوس تطليع الجن في كل أنحاء العالم وفي كل الديانات؟ وإذا كانت مظهر ديني ليش ما سمعنا إنه أحد من الصحابة سواها؟ وليش ما تلاقي هذي الظاهرة منتشرة غير في المناطق اللي أهلها مهووسين بمواضيع الجن والسحر والمس؟ الموضوع يبدأ بوسوسة للشخص إنه ملموس أو معيون

أو مسحور، قد يكون مصدر الوسوسة الشياطين، أو الناس اللي حوليه، أو حتى من نفسه، تتراكم هذي الرسائل وتقوى حتى تتبرمج كقناعة في عقله الباطن ولما تبدأ طقوس تطليع الجن يتم تنويمه مغناطيسياً فيستجيب العقل الباطن ويتصرف على أساس أنه فعلاً ملموس وردة فعله للشيخ أو القسيس أو حتى الكاهن تكون مبنية على قناعاته.. المهم إنت ليش تسأل كل هذي الأسئلة؟ خايف؟"

"أنا أخاف؟ تعال معايا وأنا أوريك الخوف من جد!!!"

تناول حقيبته وانطلقت خلفه، فتح بوابة القراج فظهرت سيارة رياضة لم أر مثلها على الطرقات، حمراء منخفضة مضلعة على مقدمتها صورة ثور وعليها لوحة تحمل حروف اسم إياد والرقم 1111..

"هذي اللي رح ترعبنا أنا وإنت.."

"هذي السيارة؟"

" ياخي حرام عليك؟ سيارة؟ هذي لا مبرغيني.. لامبررغيينييي!"

"اش تفرق عن باقي السيارات يعني؟"

" هذي الله يسلمك زي السوناتا بالزبط بس تقدر تمشي 360 كيلو في الساعة.. أأأ وكمان سعرها مليون وشوية! أطلع بس أطلع!"

فعلاً السيارة غريبة.. بالذات بابها الذي يفتح للأعلى، جلست بجواره، ضغط على زر التشغيل فانطلق هدير المحرك..

"شوف يا حوجن، السواقة مافيش أبسط منها، هذا الدريكسون تلفه يمين وشمال.. وهذا البنزين عشان تسرع وهذي الفرامل عشان توقف! "

"إنت بتعلمني؟ ليش؟"

"عشان هذي الطريقة الوحيدة اللي نقدر نحط فيها عقولنا الباطنة على قولك تحت ضغط وتحدي عشان نتلحلح والتلبس يزبط!"

"ما فهمت!"

"دحين تفهم!"

قالها وأفرغ محتويات حقيبته فتساقطت مجموعة من الأدوية وعلب مشروب الطاقة، تناول الترامادول الذي يسبب ارتخاء وخدر ودواء آخر، فسألته:

"اش هذا الدوا؟"

"دكتور وما تعرف التيغراتول؟ دوا تخفيف كهرباء الجسم والدماغ! جبت كمان ريد بول عشان لو احتجت أفوق وأصحصح! بس أهم شي دوا الهيفي ميتال!"

قالها وضغط على زر فانطلقت موسيقاه المزعجة جداً بأعلى صوت وبلع كبسولتين من كل دواء وانطلق بالسيارة خارجاً من بوابة بيته..

"أسمع يا حوجن.. عندك خمس دقايق تراقبني وأنا أسوق عشان تتعلم، بعدها رح أبدأ أنعس، وقتها لازم تتولى إنت قيادة السيارة وقيادة جسمي كمان.. شوف لو حصل لي أنا أي شي مو مشكلة! بس لو حصل شي للسيارة والله لأحرقك فاهم؟!"

وداس على البنزين فانطلقنا بسرعة، لم يدع لي فرصة لأعترض، بدأت ألاحظ يديه تتراخيان وجفناه يتثاقلان، ركزت على طاقة جسمه، شعرت بيديه، رأيت الطريق أمامي والسيارات مندفعة صوبي، بدأت أصابع إياد بالانكماش وازدادت رعشته، حاولت التحكم بساقه ولكنها تصلبت على البنزين ونحن مندفعون نحو حافة الكوبري، حاولت بكل قوتي رفعها إلى أن استجابت فدست على الفرامل بقوة فتوقفت السيارة بشكل مفاجئ وسمعت أصوات فرامل السيارات خلفي تكاد تصطدم بنا، ارتطم رأس إياد بعنف في دريكسون السيارة فشعرت بألم رهيب في جبهتي وأحسست بخط من الدماء الساخنة على جبيني استطعت أن أدوس على البنزين بعد أن سيطرت بشكل كامل على إياد وسيارته، وانطلقت مبتعداً عن السيارات وعن أصحابها الذين لاحقونا بأبواقهم الغاضبة وشتائمهم البذيئة.. لم تمض لحظات حتى أصبحت أقود ذلك الشئ بسهولة، انطلقنا في طريق المدينة، دست على البنزين ورأيت عداد السرعة يقترب من حافته وأنا أناور بين السيارات التي تمشي ببطء شديد وأراها تمر بجوارنا كأنها خطوط لا يقاطعها سوى ومضات الكاميرات التي على جانبي الطريق.. بالرغم من كل هذا لم تكن سريعة بالنسبة لي، بهذه

السرعة لن نصل لليتمة قبل ساعة، بينما أستطيع وأنا في عالمي أنا أذهب لليتمة وأعود في نصف ساعة!

رأيت سيارة شرطة في الأفق، أشعلت جميع أضواءها وأطلقت جميع صافرتها ونحن نقترب منها ونتجاوزها بجنون، خفت أن أسبب المشاكل لإياد فتنحيت إلى جانب الطريق ودست على الفرامل فتوقفت السيارة بعنف مرة أخرى، وتمالكت نفسي هذه المرة كي لا يرتطم رأس إياد، وتوقفت خلفي سيارة الشرطة وتفادى سائقها الاصطدام بنا بصعوبة.. غادرت جسم إياد بسرعة وراقبت رجل الشرطة الذي أجرى حواراً في جهاز اتصاله قبل أن يأتي إلينا، سقط جسد إياد على الدريكسون فورما غادرته، تجسدت لأهزه بقوة وأيقظه قبل أن يصل رجل الشرطة.. استيقظ بتثاقل وهو يتحسس الجرح في رأسه ويتلفت حوله ليستوعب ما حصل..

" أنا لسه حي؟ السيارة جرالها شي؟ إنت هنا يا حوجن؟"

نظر في المرآة ليرى رجل الشرطة الذي تقدم بغضب نحو السيارة فأغلق الموسيقى الصاخبة بسرعة وهو يقول..

"يخرب بيتك يا حوجن.. اش هببت؟"

أطل رجل الشرطة من النافذة وألقى نظرة على الأدوية التي تناثرت في كل مكان وعلب مشروب الطاقة، وعلى وجه إياد بعينيه الناعستين المحمرتين وخط الدماء المنساب من جبهته على خده، حاول إياد امتصاص غضب الشرطي كمن تعود على ذلك..

"السلام عليكم.. كيفك يا نقيب.. آآ فهد.."

"خير انشاء الله؟ اش فيك؟ راكبك عفريت؟!"

"آآآ.. جن وعفاريت؟ لا طبعاً! عمتي في العناية المركزة في المدينة كلموني عشان بيعملوا لها عملية قلب مفتوح ولازم أتبرع لها بالدم! أديني خمسين مخالفة لو حبيت بس خليني ألحق عمتي!"

كانت نبرته مقنعة ولكنها لم تقنع الشرطي بشكل كامل، فاكتفى بأخذ رقم لوحة إياد، فانطلق إياد وهو يشرب مشروب الطاقة بنهم:

" شفت كيف خطتي نجحت!! كنت متأكد إنها حتنجح!"

"كنت حتودينا في داهية!"

"كنت حروح الداهية لوحدي! وبعدين مين اللي وصلنا المدينة في ساعة يا حوجن شوماخر؟"

انطلق صوت جوال إياد المتصل بسماعات السيارة، ضغط على زر الرد في دريكسون السيارة فظهر Dr. E Z على الشاشة وانطلق صوت جمارى التي كانت تتحدث بكل توتر ولكن بلغتنا التي لم يفهمها إياد، كانت تصرخ وتقول:

"تعال يا حوجن.. تعال بسرعه!"

(16)

موسى تاكاو.. وشياطينه!

الدكتور عبدالرحيم سعيد.. رجل ذو عقل وعلم ودين وأخلاق، جميع المقومات التي تبقيه في منأى عن الدجل والانحراف العقدي، ولكن عيبه الوحيد هو أنه.. إنسان! أتمنى أن لا تغضبكم صراحتي، ولكن هذه هي الحقيقة، الإنسان يعاني من نقطة ضعف خطيرة.. التعلق بالذوات. منذ أن هبط أبوكم سيدنا آدم إلى الأرض وحتى اليوم وأنتم في المعركة الأزلية مع الشيطان.. ومع أنفسكم الضعيفة، التي استطاع الشيطان فهمها بشكل كامل، والتلاعب بأوتارها، القرآن الكريم يعلمنا جوهر التعلق بالله والتوكل عليه ويحذرنا من الشرك، وأنتم تعتبرون تلك التحذيرات مجرد سرد تاريخي لقصص الأمم البائدة أنتم منزهون عنه، ولكن الواقع المؤسف يثبت عكس ذلك. من الحمق أن نعتقد أن الشرك هو فقط في السجود لحجرة أو بقرة، الشرك بذرة في القلب تجعله يتعلق ويؤمن بغير الله.. ولذلك علمنا المصطفى أن نتعوذ منه.. لأنه لا يأتي بلافتة، بل يأتي متخفياً متستراً بستار ديني.. فالمشرك على قناعة أنه يتقرب إلى الله من خلال ذلك المتلبس بالدين، فينزهه ويقدسه ويتبعه اتباعاً أعمى، ويعتقد أنه شخص خارق موكل بمصائر الناس، أو بأرزاقهم، أو بشفائهم، أو حتى بضمائرهم ودينهم، والدكتور عبدالرحيم وقع في ذلك المزلق الخطير، حاجته المادية

جعلته يطمع في وعود موسى تاكاو المشعوذ المتمشيخ، وتفاقمت حالته فوجد نفسه مخيَّراً بين التضحية بحياة ابنته وبين تنفيذ مطالب المشعوذ!

انتشلتني صرخة جماري.. لو انطلقت لبيت سوسن بأقصى سرعة لن أصل قبل عشر دقائق، قد يكسب الشيطان جولته في هذه الدقائق.. ويذبح الدكتور عبدالرحيم التيس، وعندها لن يبقى لي أي شئ أقدمه لسوسن سوى الدعاء فقط.. لأن بيتها سيتحول إلى مستعمرة شياطين.. يجب أن أنطلق بأقصى سرعة! ويجب أن يلحقني إياد، فربما أضطر لمواجهة المشعوذ بشكل مباشر، ولكن إياد لن يستطيع قطع المسافة في أقل من ساعة بسيارته، عندما انطلقت صرخة جماري تجسدت للحظة لأفتح الباب وانطلقت وأنا أقول لإياد:

"الحقني على بيت سوسن.. بسرعه!!"

"ما أعرف مكان بيتها!"

لم أجبه، واثق من أنه سيتصرف، يمكنه الاتصال بصديقاتها. تجاهلت سؤاله وفي دقائق قليلة كنت أتجاوز سور البيت لأرى منظراً فظيعاً! على عتبة باب الفيلا أبو عطية واقف وممسكاً

بمظروف كبير، أمامه يجلس موسى تاكاو الإفريقي الضخم على ركبتيه مشمراً عن ساعديه وممسكاً بالتيس وموجهاً رأسه عكس اتجاه القبلة ويتمتم وبجواره الدكتور عبدالرحيم ممسكاً السكين بيده وبجوارهم يقف المارد الشاهد والدكتور يردد ما يقوله المشعوذ:

"باسمك يا منان.. منان منان.. نان نان.. بحق الملك حاران.. يصرف سكان المكان.. يامنان منان."

كانت يده ترتجف، وعيناه مغمضتان، وقبل أن يمرر السكين على رقبة التيس.. انفتح باب الفيلا أمامه، فأطلت.. سوسن! وقفت أمام والدها مباشرة.. ترتدي عباءة، حاسرة عن رأسها.. شهق الدكتور عبدالرحيم شهقة رعب وهي تقول:

"حرام يا بابا!"

أصبت بالشلل من الموقف، لا أعرف ماذا أفعل! لو تدخلت لإيقاف الدكتور بالقوة فسيشهد المارد الشاهد أن الدكتور نوى الأضحية وأنا الذي تدخلت لأوقفه، صرخ أبو عطية لينهي لحظة الشلل:

"سوسن منومة في المستشفى! هذي شيطانة المكان!"

في نفس اللحظة استل المشعوذ السكين من يد الدكتور وهجم على سوسن، أو بالأصح على جمارى التي تشكلت بشكل سوسن لتوقف الدكتور.. الآن أستطيع أن أتدخل!.. الآن يجب أن أتدخل!! لا أدري إن كنتم تعرفون هذه المعلومة أم لا.. الروح تغادر الجسد عند الوفاة في أي بعد، حتى أثناء النوم، لو حلم أحدكم أنه قُتل واقتنعت روحه بذلك فإنها لا تعود إلى جسده. وهذا ينطبق علينا نحن أيضاً، بل بالعكس عندما نتجسد في عالمكم نكون أضعف وأكثر عرضة للإصابة.. والوفاة! لذا أحتاج إياد في هذه اللحظة بالذات لأستخدم جسمه دون أن أتجسد وأفقد قوتي!.. اندفعت نحو المشعوذ الذي وجه السكين نحو نحر جمارى، ولكنها لحظة واحدة فقط.. كيف سأتجسد وأنقذها في لحظة؟ كيف ستعود هي لعالمنا في لحظة؟ لم تؤثر اندفاعتي فيه، وصرخت جمارى والسكين تمزق جلد رقبتها! وفجأة سقط العملاق، دفعه الدكتور عبدالرحيم بعنف وأسقطه، لم يحتمل فكرة أن يرى ابنته تذبح أمامه وإن كان مقتنعاً أنها شيطانة متنكرة! واختفت جمارى وسقطت العباءة على الأرض، وسقطت السكين أيضاً، وعليها آثار دماء.. دماء جمارى! جن جنوني! تركتهم وحملت جمارى بين يدي..

" حوجن الجرح بسيط.. روح ألحقهم لا يذبحوا التيس!"

"إنتِ أهم!"

"من جد يا حوجن؟"

قالتها وكأن كلمتي داوت جرحها أكثر من الأدوية والضمادات التي انهمكت في لفها بمهارة حول جرحها بحكم خبرتي، كانت تراقبني بابتسامة حب، هل يعقل أن تفعل فيها كلمة عابرة كل هذا؟ كادت أن تُذبح قبل لحظة بسببي.. والآن تصب علي الحب من عينيها فقط لأنني أشعرتها بأهميتها!

لا أعلم ما الذي دار بين الدكتور والمشعوذ في تلك الأثناء، سمعت صوت محرك سيارة أبو عطية فقبلت جمارى بين عينيها:

" سامحيني يا جمارى لازم ألحقهم، هذي الفرصة الوحيدة إني أمسك المشعوذ.."

"لا تقول سامحيني.. أنا ملكك يا حوجن!"

خرجت فرأيت الغبار الذي أثارته سيارة أبو عطية، ارتفعت في السماء لأحدد وجهته، ولأبحث عن إياد، ميزت سيارة إياد تقترب عن بعد فانطلقت إليه بسرعه، تجسدت، حاولت فتح الباب فلم يفتح، ضربت الزجاج بيدي بقوة ففهم إياد وفتح قفل الباب ففتحته والسيارة منطلقة بسرعه والسيارات تطلق أبواقها ظناً أن الباب فتح بسبب عطل!

"إياد.. جاهز؟"

"يعني في خلال أربعة وعشرين ساعة ما نمت ولا أكلت واتلبسني جني مرتين وبلعت أربعة ترامادول وإثنين تيغراتول وثلاثة ريدبول! أعتقد إني جاهز جداً! توكلنا على الله!"

أغمض عينيه دون أن يترك المقود كمن تعود على ذلك، فتلبسته في لحظة.. انطلقت بسرعة للحاق بسيارة أبو عطية، لم أعترف بسرعة قانونية ولا بإشارة مرور ولا باتجاه سير، هدأت من سرعتي عندما رأيت سيارة أبو عطية في الأفق كي أتبعه دون أن أثير شكوكه، ولكن شكوكه اشتعلت عندما لاحظ أنني أتبعه لمسافة طويلة، بالذات عندما بدأنا ندخل لأزقة ودهاليز في وسط حي مشبوه.. انعطف أبو عطية في أحد تلك الأزقة فجأة

فانعطفت خلفه لأكتشف أن الطريق مسدود، فأوقف أبو عطية سيارته وخرج المشعوذ متجهاً للمبنى في آخر الشارع، حاول أبو عطية أن يسير بسيارته للخلف وينفذ من المسافة الضيقة التي تفصل سيارة إياد عن الحائط، لم أعرف كيف أعود بالسيارة للخلف فتقدمت نحوه مضيقاً الطريق فاحتكت سيارته بسيارة إياد من جهة وبالحائط من جهة أخرى.. واستطاع أن ينفذ ويفر، لم أضيع وقتي معه، فالمشعوذ عندي أهم! خرجت من السيارة واتجهت بسرعة للمبنى، وقبل أن أصل إليه نزل عملاقان ليستقبلني أحدهما بلكمة في بطني شعرت بألمها في عمودي الفقري! سأعتمد على بنية إياد الرياضية وعلى ما نتمتع به من سرعة بصرية لقتالهم، أتخذت وضعية دفاعية، حاول العملاق الآخر أن ينقض علي بلكمة أخرى فأشحت بوجهي جانباً ليفقد توازنه بسبب اندفاعه وأجد رأسه هدفاً سهلاً أمام قبضتي، أقصد قبضة إياد، استجمعت قوتي وانطلقت بها نحو فكه مباشرة، فسمعت صوت تهشم فكه المزعج ورأيت مجموعة من أسنانه تتساقط من بين شفتيه المشقوقتين.. يسعلها مع دمائه. نظرت إلى قبضة إياد لقد تمزق جلده ونزفت دماؤه وشعرت بألم رهيب في يدي من عنف الضربة، لا بد من توخي الحذر كي لا أدمر جسد إياد، وكي

لا أتسبب بمقتل أحد فيتورط في قضية جنائية. اللكمة بثت الرعب في العملاق الآخر فتقهقر بحذر، تناول من الأرض قضيباً معدنياً وبدأ يلوح به وهجم علي بشراسة، لا أعرف ما هي حدود قدرات أجسادكم.. ولكنني أعرف أنني استطعت أن أقفز بارتفاع مترين لأتفادى الضربة وأهبط لألتف وأركل العملاق على وجهه ركلة لم تجعله أحسن حظاً من رفيقه الذي تشوه! انطلقت إلى المبنى الذي يتكون من طابقين أحطم أبواب الغرف أمامي بقدمي وأبحث عن موسى تاكاو، رأيته أمامي جالس يتمتم، وحوله مجموعة من المردة المسخرين له، هجم علي المردة، فتركت جسم إياد الذي سقط كالحجر.. وعدت لعالمي لأتعامل مع المردة الذي صرخ أحدهم:

"تعديت حدودك يا كلب الإنس!"

انقضوا علي، لا أذكر عددهم، كانوا خمسة أو ستة مردة.. ثبتني زعيمهم من رقبتي وتكالب الباقون علي، أما المشعوذ فانقض على إياد ليخنقه وإياد شبه فاقد للوعي يحاول التقاط انفاسه باستماته. في هذه اللحظة بالذات تذكرت سؤال الملك هياف عن سر الصرخة! في هذه اللحظه بالذات تذكرت روح أبي وجدي ودموع أمي وعذاب سوسن ودماء جماري..

فصرخت صرخة خرجت من أعماق روحي! وغبت عن الوعي للحظات، لم أدرك نفسي إلا وحولي جثث المردة والنيران مشتعلة وإياد يسعل بشدة، وموسى تاكاو يشق طريقه عبر النيران بعد أن جمع أهم ممتلكاته.. فصرخت بإياد:

"إياد.. ركز.. لازم أتلبسك وللا حتتخنق هنا!"

إياد الذي لم يعد قادراً على الكلام أومأ برأسه فتلبسته وفي لحظة قفز الجسد الذي لم يكن يقوى على الحراك، شعرت بالآلام في كل جزء من جسدي بسبب إصابات إياد، وكدت أن أختنق وأنا أقفز عبر النيران والدخان لأمسك بموسى تاكاو من تلابيبه ونسقط أنا وهو على الدرج، كان يتمتم وأنا ألكمه دون أن يدري أن مردته تحولوا إلى أشلاء!.. اختفت مجموعة من أسنانه دون أن أراها تسقط، أعتقد أنه ابتلعها.. غاب عن الوعي بين لكماتي، سحبته من تلابيبه بيد واحده رغم حجمه العملاق، وحشرته مع أغراضه بصعوبة شديدة جواري في سيارة إياد، وتوجهت لأقرب جامع.. ربطته بشدة على عمود النور الذي بجوار الجامع ونثرت فوق رأسه الطلاسم والأحجبة التي تدينه، وأخذت المظروف الذي سلمه إياه أبو عطية، نظرت

إلى الناس الذين تجمهروا حولي يراقبون المشهد باستغراب فقلت:

"ساحر مشعوذ ربنا أعانني عليه.. يا ليت أهل الخير يسلموه للشرطة!"

كانت عبارتي بمثابة إشارة بدء لهم بضربه وركله!

انطلقت في سيارة إياد عائداً لبيت سوسن، لا أستطيع أن أغادر جسد إياد وهو بهذه الحالة الحرجة، وفي نفس الوقت يجب أن أطمئن على جماري، تناولت هاتف إياد واتصلت على Dr. E Z.. استغرقت جماري بعض الوقت لاكتشاف الزر الذي يرد، ردت علي بلهفة ولكن بالعربي تحسباً لأن أكون إياد أو شخص آخر:

"جماري؟"

استغربت الصوت المتغير ولكنها استوعبت أنه أنا في جسد إياد..

"حبيبي.. قلقت عليك!"

"تعالي معايا أنا براً.. ما أقدر أدخل وأنا متلبس إياد.."

انطلقنا أنا وجماري بسيارة إياد نحو بيته، دخلت البيت بثقة ممثلاً دوره، فتحت الخادمة لي الباب وصعقت عندما رأت جسم إياد الملطخ بالدماء:

"Mister Eyad..! what happened? I will call the doctor!"

"لا أنا كويس.. بس جهزي لي العشا.."

استغربَت من كلامي معها بالعربي، دخلت غرفة إياد ألقيت بجسده على سريره، وتركته، لأجلس جوار جماري، فسعل وتأوه بشدة..

"آآآآه يا راسي.. يا إيدي.. يا رجولي.. اش سويت فيا يا حوجن؟.."

دخلت الخادمة حاملة صينية الأكل ووضعتها على طاولة المكتب فناداها:

"Just bring it over here.. I can't even move!"

خرجت الخادمة فصرخ إياد..

"حاااووججججاان إنت هنا؟ انطق!"

"إيوه طبعاً هنا.. ومعايه جمارى.."

"أهلين جمارى.. شايفه زوجك إش عمل فيا؟"

ابتسمت جمارى وتحسست جرحها وهي تجيبه:

"كلنا في الهوا سوا.. أنا كمان اتبهدلت اليوم.."

"كله يهون.. تجي في جسمي ولا في السيارة!"

"ممممم.. يعني السيارة كمان تعرضت لشوية إصابات!"

"من جد؟ لا! لاااا! إلا اللامبرغينيييي!!"

"إياد.. من جد شكراً على شهامتك.. مستحيل أحد يسوي كل هذا عشان شخص ما تربطه بيه أي علاقة!"

رد علي برد أشعل غيرتي وأسعد جمارى:

"طبعاً أسوي كل هذا وأكثر عشان عيون سوسن..

زوجة المستقبل!"

(17)

سوسن.. أتقبلين الزواج بإياد؟

العقرب لا يلدغك إلا إذا اقتربت منه، وشعر بالخطر، وهذا لا ينطبق تماماً على العقرب البشري، الذي يقترب منك ويلدغك إذا شعر بالأمان.. فقط ليحقق مصالحه ولو على حساب مصالحك.. وحياتك! وأبو عطية أحد العقارب البشرية المنتشرة حولكم، يغلف سمه في معسول كلامه قبل أن يفرغه في لدغته ويفر باحثاً عن ضحية أخرى..

خلد إياد لنوم عميق، فكرنا أنا وجمارى في الوسيلة الأنسب لإعادة أموال الدكتور عبدالرحيم له، فتحت المظروف فوجدت فيه سبعمائة وخمسون ألف ريال، نصف المبلغ الذي كان يفترض أن يسلمه الدكتور عبدالرحيم، فحصت جمارى الظرف وبحكم خبرتها أدركت أن هناك أثر ثلاثة أشخاص عليه، أو بتفسير علمي أكثر: ثلاث بصمات جينية مختلفة خلفها عرقهم، الدكتور عبدالرحيم، والمشعوذ، والحقير أبو عطية، أما بالنسبة للنقود داخل الظرف فكانت تحمل أثرين فقط! أثر الدكتور وأبو عطية، مما يعني أنه كان يخدع الدكتور طوال الوقت وأخذ نصف الأموال لنفسه. في كل الأحوال لا أعرف كيف سأعيد النقود للدكتور بشكل مقنع، يمكنني ببساطة أن أضع النقود فوق سريره، ولكن ذلك سيؤكد ما يدعيه أبو عطية من أن البيت مسكون وقد يوقعه في براثن دجال آخر! هل أرسلها مع إياد؟

لا لا.. لا أريد أن يعرف الدكتور أن إياد تربطه بموضوع الجن أي علاقة!

تركنا إياد، وعدنا لبيتنا أنا وجمارى، لفت نظري ضوء غرفة الجلوس المضاء، خشيت أن يكون أبو عطية عاد للدكتور..

اقتربت فسمعت صوت الدكتور، كان يصلي ويستغفر الله ويدعو لابنته بكل حرقة، فعلاً لقد أنقذه الله من مصيبة الشرك، الحمدلله أن جمارى كانت موجودة وتمكنت من إيقافهم!..

لم أكن أتكلم كثيراً عن سوسن، احتراماً لمشاعر جمارى.. ولكنني اليوم فشلت في حبس دموعي عليها عندما رأيتها تدخل بيتها لأول مرة بعد غيبوبتها، حتى جمارى فشلت في حبس الدموع! كانت تمشي بصعوبة، تتهادى بين أمها وأبيها، بالكاد تسند نفسها، دخلَت غرفتها التي نظفوها استعداداً لاستقبالها، وأول شئ وقع نظرها عليه هو الآيباد.. أشاحت بوجهها وهي تشير إلى الآيباد وتقول لهتان:

" شيل الآيباد معاك بالله.. وسيبوني شويه، تعبانة أبغى أرتاح.."

خرج الجميع من غرفتها، سحبتُ جمارى من كتفها وخرجنا من النافذة وأنا أراقب سوسن تقترب من النافذة بخطوات مترنحة وتغلقها بعنف بدل أن تغني لأزهارها التي ذبلت حزناً عليها!..

"حوجن.. لازم نلاقي حل لمرض سوسن!"

بادرتني جمارى ولكن حزني عقد لساني فلم أجبها..

" حوجن اش رأيك نفاوض الملك هياف يجيب مردة المغرب يمكن يفيدوها.."

"ربنا أرحم بها مننا وهو القادر على شفائها.. مو الملك هياف!"

اتصل بي إياد، أعتقد أنه بدأ يتماثل للشفاء من إصاباته، ذهبنا أنا وجمارى التي رفضت أن تتركني لحظة بعد كل ما حصل.

ترك إياد باب البيت مفتوحاً كالعادة فوجدته يتحدث عبر الهاتف باهتمام:

"خلاص العنوان واضح، ألف ألف شكر، ياسيدي لو ما طلع كلامي صحيح أسجني.. أنا مستعد!.. تسلم تسلم حبيبي.."

أنهى المكالمة وتناول الورقة التي دون عليها ذلك العنوان..

"إياد مين دا؟"

لم تفزعه عبارتي، فهو يتوقع حضوري..

"تعال أفهمك إش رح أسوي في الزفت أبو عطية!"

إياد من القلة الذين لا يعترفون بالمستحيل، لقد نبش جميع معارفه إلى أن وصل لضابط في المباحث، وبلغه عن أبو عطية وطلب مساعدة الضابط بتدبير عنوان أبو عطية من خلال رقم هاتفه بعد أن وعده بتسليم الدليل الذي يدينه..

"شوف يا حوجن، لازم نتأكد إنه الدكتور عبدالرحيم بعيد عن الصورة تماماً، كل اللي نحتاجه هو زيارة لطيفة لأبو عطية، ناخذ بقية الفلوس وناخذ دليل يدينه ونوديه في ستين داهية!"

"ياسلام الموضوع بهذي البساطة؟ كيف حنسوي هذا كله؟"

"بسيطة جداً.. تتلبسه!"

كانت خطة إياد عبقرية فعلاً، العنوان لم يحدد بيت أبو عطية بالضبط، ولكننا وصلنا للشارع والمسجد المجاور لبيته في تلك الليلة، أطفأ إياد سيارته وهو يقول:

"المفروض بيته هنا! يللا يا حوجن شوف شغلك.."

بحثت عن سيارته، لم تكن بين السيارات الواقفة على جانبي الطريق، بحثت داخل مواقف العمائر، إلى أن وجدتها، وجدت سيارة أبو عطية وميزتها بسهولة من آثار احتكاكها بسيارة إياد وعرفت أيضاً رقم شقته من موقفه، عدت إلى سيارة إياد:

"هذيك العمارة.. اللي قدامها نخلتين.."

اقترب قليلاً من العمارة ، نزلنا أنا وجماري.. لحسن الحظ كانت نافذة المطبخ مفتوحة فدخلنا منها، رأيته في صالة بيته يجلس على الكنبة يشاهد أحد البرامج الهابطة ويدخن

الشيشة، تجسدت جمارى وتشكلت بالشكل المطلوب ووقفت خلفه تماماً، وهمست في أذنه بهدوء:

"تبغى تذبحني يابو عطية؟ مو حرام عليك؟"

التفت برعب ليرى الوجه الذي خلع قلبه من مكانه.. وجه سوسن! كانت جمارى تنظر إلى عيني أبو عطية مباشرة وهي متشكلة بشكل سوسن فجن جنون أبو عطية وبدأ يصرخ بشكل هستيري، وضعت يدها على فمه بقوة كي تكتم صرخاته، يجب أن أتحرك الآن، هذه اللحظة المناسبة لتلبسه! ابتعدت طاقته البنفسجية بسبب رعبه يجب أن أحل محلها قبل أن يفقد الوعي من شدة الهلع! حاولت السيطرة على جسده، فبدأ ينتفض بشدة، لا بد أن أسيطر عليه بأي ثمن! ركزت جميع قواي فهدأت ارتعاشته وارتخى تصلبه، وقفت مستنداً على حافة الكنبة، عدلت الشيشة التي سقطت مع ارتعاشته وللمت الجمر المتناثر بيديه غير آبه بالألم، طز فيه! تركت جمارى تجسدها وعادت لعالمنا وبدأنا أنا وهي نبحث عن نقود الدكتور عبدالرحيم، ولكن مالبث أن فتح باب غرفة النوم وأطلت زوجة أبو عطية تفرك عينيها بكسل وتسأل باستنكار:

"إش الأصوات هذي؟ كنت بتزعق على أحد في التليفون؟"

أجبتها محاولاً تقليد طريقة أبو عطية في الكلام، واستمريت في البحث:

"ارجعي نامي مافيش حاجه.."

"بتدور على إيش؟"

لا أعلم إن كان أخبرها بأمر النقود، إنها فرصتي الوحيدة، ومرة أخرى طز فيه!

"فيه فلوس جبتها الأسبوع اللي فات نسيت فين حطيتها!"

"من جد إنت من يوم ما رجعت بالفلوس دي وعقلك مو في راسك! دحين إنت مو قايل لي إنك دفعتها لصاحب الأرض عشان الإفراغ؟"

"خلاص خلاص أدخلي نامي دحين.. فيه ضيف رح يجيني!"

لحسن الحظ لم تشك في شئ والدليل غلقها لباب غرفة النوم بعنف، فتحت الباب لجماري فخرجت لتنادي إياد الذي جاء على الفور، طرق الباب ففتحت، فتفاجأ لوهلة عندما رآني على هيئة أبو عطية فهمست له:

"هذا أنا.. حوجن! تعال بسرعة!"

"لقيت الفلوس؟"

"مو وقت الفلوس دحين يللا ابدأ تصوير.."

وضع هاتفه بزاوية تركز على المقعد الذي جلست أنا عليه لنصور المشهد الذي يُدين أبو عطية، وضعه بطريقة توحي إلى أن أبو عطية لا يدري عن التصوير، وبدأت أتحدث إلى الشخص الوهمي أمامي منتحلاً شخصية أبو عطية:

"أبو عطية كلمته ما تنزل الأرض أبداً! النص بالنص! كل واحد فينا ياخذ سبعمية وخمسين ألف، ولو جاب باقي الفلوس نتقاسمها! بكرة نجيب التيس وتجهز إنت الحجاب، نخليه يذبح التيس ويدفن الحجاب في الحوش ونرش دمه عند المدخل و..."

قطع إياد التصوير متعمداً وكأن الذي كان يصور خلسة ارتبك، عدت إلى الكنبة التي كان يجلس عليها أبو عطية واسترخيت لأغادر جسده، كان في غيبوبة، انطلقنا إلى الباب بسرعة ولكن إياد المجنون عاد ليصفع أبو عطية بقوة على وجهه ويركله في بطنه وخرج معي مسرعاً!

"ما قدرت أقاوم.. نفسي أقتله هذا النتن!"

انطلقنا بسرعة، ونفذ إياد وعده لظابط المباحث، فزوده بدليل دامغ لإدانة أبو عطية، ورفع ملف الفيديو الذي يعتبر اعتراف مصور على موقع اليوتيوب من حساب مؤقت، ووضع عنواناً جذاباً: فضيحة أبو عطية وهو يتفاوض مع المشعوذ.. واختار بعض الكلمات التي تلهثون خلفها في محركات البحث (أعتذر عن ذكرها).. ليقطع في وجهه كل أمل للفرار! الذي لم أفهمه هو كيف سلم المظروف للضابط وفيه كامل المبلغ! مليون ريال ونصف! وطلب من الضابط أن يسلمه للدكتور عبدالرحيم بحجة أنه ضُبط عند المشعوذ الذي اعترف، واحترم الضابط رغبته في عدم إقحام الدكتور في أي تحقيقات. كم أنت عظيم يا إياد، تستحق سوسن فعلاً

ارتاحت نفسياتنا عندما انتهى كابوس المشعوذ وأبوعطية للأبد وعادت نقود الدكتور ليخرج من أزمته المادية ويتوب عن الاستعانة بالسحرة والدجالين المتمشيخين. مرت بضعة أيام طلبنا بعدها إياد لمساعدته في موضوع شخصي، فذهبنا له على الفور.. بادرنا بلهفة:

"حوجن؟ جمارى إنتو هنا؟"

"خير؟ قلقنا عليك!"

"أنا قدامكم زي الحصان.. بس أحتاج جمارى في شغلة مصيرية؟"

"إش أقدر أسوي لك يا إياد؟"

"أبغاكِ تخطبي لي سوسن!"

"هاه؟"

"تعالي أول أفرجك على مقاطع فيديو لأمي.."

"ليش؟"

"يعني إذا تقدري تتشكلي فأكيد سهل عليكِ تقلدي الأصوات.."

إياد يجمع بين خصلتين خطيرتين.. الدهاء والتهور! يريد جمارى أن تتصل لتخطب له سوسن! كم سعدت جمارى بهذه اللحظة كي ينزاح عنها هم حبي لسوسن! أو على الأقل تقحم فارساً حقيقياً في حياتها يستحقها أكثر مني، فارس يرغمني على التنحي جانباً ليفوز بها.. ويرغمها على نسياني..! انبهر إياد عندما سمع صوت جمارى وهي تقلد صوت والدته..

"وااااو كأنك أمي بالضبط!!! نفسي أسوي شوية مقالب في بابا، بس بعدين مو وقته.. خلينا نتصل بسوسن دحين!"

"بس ماني عارفة إش أقول؟"

"بسيطة! نشبك الهيدفون ونخلي سماعة في أذني وسماعة في أذنك وأنا أهمس لك في إش تقولي بالضبط.."

غاب إياد وعاد بهاتف قديم..

"هذا جوال أمي حق الزواجات، فيه شريحة.. نتصل منها ونفصله بعدها!"

اتصل إياد برقم جوال سوسن، خفقت قلوبنا، لا أعلم أيها كان أعنف.. قلبي أم قلب إياد أم قلب جمارى.. لم ترد سوسن، كررنا المحاولة، وقبل يأسنا بلحظة ردت سوسن مستغربة من الرقم:

"ألو مين؟"

فردت جمارى وإياد يهمس لها..

" ألو.. السلام عليكم.. أنا منال العقيل والدة إياد الزايدي.. معايه سوسن؟"

"أهلين يا خالة.. كيف حالك؟"

"أهلين يا بنتي.. وألف ألف سلامه عليكِ.. معليش أنا كنت أبغى أكلم الوالدة وما قدرت أحصل رقمها، ممكن أكلمها؟"

"أكيد يا خالة.."

ذهبت لتنادي والدتها فازددنا خفقاناً..

"ألو؟"

"ألو كيف حالك يا أم سوسن؟"

"الحمدلله يا أهلا وسهلا.."

"سلامة سوسن وما تشوف شر إن شاء الله.."

"الله يسلمك ويحفظلك أولادك.."

"ما باطول عليكِ، بس الحقيقة سمعنا عنكم كل خير، وحابين نتقدم لكم نخطب سوسن لولدي إياد، هو زميلها في الجامعة والحقيقة يمدح فيها كثير.."

ارتبكت والدة سوسن، هذه لحظة حساسة في حياة أي أم.. هذا الاتصال بالذات يفصل بين كون ابنتها طفلة بين أحضانها وسيدة مستقلة بحياتها..

"والله ما أدري إش أقول لك.. إحنا نتشرف والله بس إنتِ عارفه ظروف سوسن و.."

قاطعتها جمارى.. أو بالأحرى إياد:

"إن شاء الله سوسن ما قدامها إلا العافية وإحنا بس حابين نتعرف عليكم أكثر ونتطمن على سوسن.."

"طيب لازم أستشير أبوها واستشيرها هي كمان، بس على العموم الله يحيكم تزوروننا في أي وقت عشان نتعرف ونتشرف بيكم.."

لم يحسب إياد حساب هذه المفاجأة، ولكنه تصرف بسرعة وهمس لجماري بالإجابة الأنسب:

"أكيد نفسنا نزوركم والله ، بس أنا الآن بأكلمك من فرنسا، أنا وأبو إياد حنرجع بعد شهرين، معليه أخلي إياد يزوركم مع بنت خاله؟ وأنا وأبو إياد أكيد بنزوركم نتطمن على سوسن أول ما نرجع.."

"الله يحييكم كلكم.."

"يقدروا يجوكم يوم الربوع بعد المغرب؟"

"يشرفونا على العين والراس.."

انتهت المكالمة، فانطلقت أنفاسنا الحبيسة، تناثرت الأيام بسرعة ووجدنا أنفسنا أمام الأربعاء فجأة، ذهبنا لإياد قبل الموعد بساعة، وجدناه لابساً ثوباً وغترة بيضاء وعقال وجالس يهز ركبته بتوتر، لأول مرة أراه بالهندام الرسمي الذي زاده هيبة ووسامة..

"إياد.."

"أخيراً شرفتوا؟ اتأخرتوا!!!!"

"بنت خالك وصلت؟"

"مستنيها تتجسد!"

"اش قصدك؟"

"جماري حتكون بنت خالي! ما عندي أخوال أصلاً"

كل يوم ينافس هذا الولد نفسه بجنونه!!

"يللا يا جماري، زبطي لنا شكل بنت خالي على ذوقك، عندك غرفة ملابس أمي فوق ألبسي أي حاجه مناسبة.."

صعدت جمارى وعادت بعد دقائق، تخشبنا أنا وإياد ونحن نتأمل ذلك المخلوق الذي هبط على الدرج، جنية تشبه الملائكة تجسدت في عالم البشر!.. لا تكاد قدماها تلمسان الأرض، فاتنة.. حتى شاشات السينما لم يحالفها الحظ لعرض مخلوقة بجمالها، النسخة البشرية من جمال جمارى، ياقوتة زهرية، عيون تُغرق الناظرين في أعماقها، شعرٌ تنازع عليه الذهب والديباج فتموج بينهما، سقط فك إياد وهو يقول بتلقائية بلهاء:

"جمارى.. إنت ما عندك أخوات؟!"

تجسدت للحظة لا شعورياً ولكمته في صدره ليتأدب فصرخ صرخة مكتومة:

"إش فيك يا حوجن؟ نسيت إنه جمارى أكبر من جدتي، وقبل يومين كانت أمي.. ودحين بنت خالي؟؟!!"

ابتسمت جمارى وقالت في دلال:

"هذا الشكل اللي كنت أتشكل به زمان.."

"بس يا جمارى أم أمي فرنسية عيونها عسلي فاتح.. حتى أفتح من عيني.."

لم يكمل إياد عبارته حتى تحول لون عيني جمارى بالتدريج من البني الداكن إلى العسلي الفاتح، فازدادت جمالاً، كانت تضع القليل من مساحيق التجميل، لم تكن بحاجة إليها في كل الأحوال.. وضعتها باحتراف هذه المرة، ولبست ثوباً غاية في الروعة وارتدت عليه إحدى عباءات أم إياد الأنيقة، واتجهنا بسرعة إلى الخارج، فتح إياد باب القراج، عرفت من أين دبر إياد باقي نقود الدكتور عبد الرحيم! ظهرت سيارة منمنمة أشبه باللعبة، انحشرنا داخلها، إياد وجمارى في الأمام.. وأنا في الخلف..

"يعني بعت اللامبرغيني عشان تسدد باقي فلوس الدكتور عبدالرحيم؟"

"لولا غشامتك في السواقة كان قدرت أبيعها بمبلغ محترم وأشتري بالفرق بي إم محترمة بدل الدبانه دي! أنا أصلاً كنت مطلع اللامبرغيني عشان هذي اللحظة!"

وصلنا لبيت سوسن، لم ننتظر طويلاً بعد دق الجرس، فتح لنا هتان الذي أصيب بالصعقة الكهربائية وتنح عندما رأى جماري، أدخلنا على الفور إلى الصالون، تخيل تدخل بيتك الذي تعيش فيه على أساس انك ضيف؟! نزلت أم سوسن ترحب بنا بحفاوة، ونزلت بعدها سوسن، جلستُ في المساحة الخالية على الكنبة جوار سوسن.. وظللت أتأملها..

أدارت جماري الحديث ببراعة وأذابت ثلوج الإحراج بلطف:

"معليه سامحونا، المفروض نزوركم ونتطمن على سوسن من زمان.. أنا جما.. جمانه.. بنت خال إياد، بادرس الجامعة في فرنسا، ماما فرنسية، وبابا نص فرنسي.. لحسن الحظ إننا جينا جده نزور أعمام بابا وناخذ عُمره، وعمَه كلمتني عشان أجي مع إياد نزور سوسن ونتعرف عليكم.."

لم أتابع عبارات الترحيب والمجاملة والسؤال عن صحة سوسن التي دارت، كنت مشغولاً بملئ عيني من عينيها،

دارت إشارة خاطفة بين سوسن وأمها، فقامت السيدة رجاء وسحبت يد جماري وهي تقول:

"تعالي يا جمانه حكيني عن فرنسا.. خلي سوسن وإياد ياخذوا راحتهم شوية.."

جلستا في الجهة الأخرى من الصالون فأصبحنا لوحدنا أنا وسوسن، وإياد..

"ليش يا إياد؟"

"ليش ايش يا سوسن؟"

"ليش بتتقدم لي؟"

"سوسن إنتِ عارفه إني من زمان معجب بيكِ.."

"الإعجاب شي والارتباط شي تاني، أنا عندي برين كانسر يا إياد! الله العالم يمكن أعيش لآخر الشهر ويمكن لا!"

مد إياد يده إليها محاولاً الضغط على عواطفها، مدت يدها إلي شعرها ومررت أناملها عليه فانسلت خصلة من شعرها لم تحتمل عنف أدوية السرطان.. ووضعتها على يد إياد..

" إياد أنا صحتي بتروح مني زي شعري.. إنت تستاهل ملاك تعيشك في سعادة.. مو مسخ بين الحياة والموت!"

قبض إياد على شعرات سوسن وتساقطت دموعه في انهيار وهو يقول:

"سوسن.. أرجوكِ أديني فرصة أكون جنبك باقي أيامك.. وصدقيني أنا متأكد ربنا بيشفيكِ وتصيري ملاكي وتسعديني باقي أيامي!"

خفضت سوسن وجهها وانهمرت دموعها بحرقة، ففاجأها إياد.. وفاجأني أنا أيضاً:

"سوسن.. فيه واحد يبغى يكلمك.. ويفهمك أشياء كثير.."

"مين؟"

"تعال يا حوجن!"

قالها.. وسند رأسه مسترخياً على الكنبه لكي أتلبسه!

(18)

خسرت حبيبتي.. وزوجتي.. وابني!

أتعلمون ما هي أكبر جريمة تقترفونها في أنفسكم؟ هي تهميش أرواحكم.. الحياة بالنسبة لكم ساحة عراك وأنتم مكائن الصراع في وسطها، مكائن مركبة من "أجهزة" و"أعضاء" تسيرها مصالح مادية مغلفة بأيدولوجيات سلطوية مخادعة تتشدق بالسمو رغم سفالتها.. ولكن مع ذلك كله هناك من يقدر لروحه قدرها، يرى بشفافيتها ما يقبع خلف تلك المكائن البشرية، يرى بعين الحدس أو المشاعر أو البصيرة أو الفراسة أو التليباثي.. أو أيٍ من تلك المصطلحات التي تصنفونها جهلاً تحت بند الخوارق والميتافيزيقا وما وراء العقل.. العقل الذي استطاع أن يحبسكم جميعاً داخل مكائنكم.

سوسن كانت من تلك القلة التي لم تدفن روحها في قبر عقلها، لم أكد أتلبس إياد وأرفع رأسي عن الكتبه وأنظر إلى عينيها مباشرة، وتنظر هي إلى عيني لأول مره حتى رأتني من خلال جسد إياد وعرفتني.. شهقت شهقة خفيفة، واحتضنت كفي بين كفيها وتسربت دمعتها وهي تقول:

"حوجن..! وحشتني يا حوجن! وحشتني!"

"منتِ خايفة مني؟"

تجاهلَت سؤالي السخيف وقبلت أناملي وهي تقول:

"كنت حاموت من الخوف عليك يا حوجن! ليه رحت وسبتني؟ خفت يكون جرى لك شي!"

شعرت بحرارة الدنيا تسري في جسدي من شفاهها عبر أناملي فتفجرت دموعي..

"سامحيني يا سوسن.. غصب عني.."

"لا تقول سامحيني.. أنا عارفه إنت اتعذبت معايا كثير.."

"سوسن.. زعنام أذاكِ بشي؟"

"اسمه زعنام؟"

"زعنام وغيره.. شياطين ومشعوذين حاولوا يوقعوا بالدكتور عبد الرحيم.. بس لا تخافي.."

"أكيد خلصتنا منهم يا بطلي.."

"إياد بطلك الحقيقي.. ضحى بحياته أكثر من مرة عشانك.."

قلتها والتفت إلى آثار الجروح في ذراع إياد، تحسسَت بأناملها أثر الإصابة على جبين إياد الذي لم تعترف بوجوده، وكأني حللت محله..

"حوجن ليه سويت في نفسك كذا؟"

"سوسن.. إياد يستاهلك.. من جد يستاهلك.."

"بس أنا ما أستاهله! إياد حلم لأي بنت.. ويستاهل ملاك زي بنت خاله.."

قالتها والتفتت إلي الجهة الأخرى من الصالون ناحية والدتها وجمارى.. كانتا تجلسان في زاوية بالكاد تسطيع جمارى رؤيتنا منها.. ولكن جمارى لاحظت تلبسي لإياد واحتضاني لكف سوسن ونظرات اللهفة بين عينينا.. تحاول بصعوبة السيطرة على أعصابها وتجسدها في عالمكم..

"هذي مو بنت خال إياد.. هذي جمارى.. زوجتي!"

ابتسمَت ابتسامة لم أفهم معناها.. أطرقَت برأسها لتخفي دموعها التي ليس من حقي أن أراها، واستعادت جديتها وهي تقول:

"اسمع يا حوجن.. أنا حالتي شبه ميؤوس منها.. مستحيل تتعالج إلا بالجراحة، وحتى لو عشت إلين وقت العملية، أصلاً نسبة نجاحها ضئيلة.. ولو نجحت احتمال كبير أفقد الكثير من ذاكرتي وقدراتي العقلية ويمكن الحركية.."

"سوسن.. مع ربنا ما فيش حاجه اسمها شبه ميؤوس ولا نسبة نجاح.. فيه حاجة اسمها إيمان وحسن ظن وكن فيكون.. صدقيني علا جك مرهون بيقينك بالله سبحانه ومعنوياتك!"

أطلقت عباراتي روحها من سجن اليأس، وتحولت إلى يقين داخل قلبها، فابتسمت وهي تقول:

"ونعم بالله.. بس في كل الأحوال مستحيل أفكر في الزواج الآن.. ما حاتزوج إلا لو اتعافيت!"

"حتتعافي بإذن الله.."

"وحنرجع نعمل تشات في الأيباد وللا حتتجسد في عالمنا وتعيش معانا؟"

"سوسن.. أنا لازم أختفي من حياتك!"

"حوجن!"

"سوسن.. ظهوري في حياتك سبب لك مشاكل إنتِ في غنى عنها.. صدقيني لازم تنسيني!"

ترجتني بنظراتها.. ولكنني لن أسمح لنفسي أن أتسبب في أي ضرر لسوسن بعد الآن..

"حوجن أرجوك عشان خاطري.. إنت تقدر تشوفني أي وقت وتطمن علي.. لكن أنا كيف أتطمن عليك؟!"

"سوسن أرجوكِ عشان خاطري اتعافي.. وصدقيني حاكون دايماً حواليكي.."

"مع السلامه يا حوجن!"

قالتها بلسانها فمزّقت قلبها.. وقلبي! رفضَت أن تفلت يدي.. فسحبتهما بهدوء ووقفت.. وتركتها تغرق في دموعها..

"جمانه يللا نمشي .. اتأخرنا!"

تركت جسد إياد في السيارة.. لم ننطق بكلمة ونحن عائدون معه، كل منا كان يصارع أمواج همومه، وفجأة هب إياد:

"لازم أتصل بماما الآن.. أخاف أهل سوسن يبدأوا يسألوا عني ويوصلوا لجوال بابا أو ماما ويتصلوبهم!"

قالها وثبت هاتفه على قاعدته في السيارة وأجرى اتصالاً مرئياً وكسى صوته بنبرة مرحة مصطنعة عندما ظهرت صورة والدته التي كانت تستمتع بوقتها في شرفة شقتها على شاطئ مدينة كان في فرنسا:

"هيبيي منال.. كيفك؟ Miss u miss u miss u!"

"Darling I miss you like crazy! How come you missed me and didn't even call me for 2 weeks?"

"I've been through a lot Mom.. and.. I have little news for you!"

"الله يستر!"

"لا بس.. حبيت أقول لك إني لقيت بنت الحلال وخطبتها!"

"Eyad! STOP IT!"

"I swear.. I proposed!"

"ومين خطب لك؟"

"إنتِ!"

"إياااااد!!"

"وجمانة بنت خالي جات زارتهم معايا عشان تتعرف عليهم"

"جمانه مين؟ خالك مين؟

EYAD YOU ARE DRIVING ME

NUTTS! STOP YOUR SILLY JOKES!"

أدار إياد الجهاز جهة جماري التي ألقت التحية لأم إياد باستخدام صوتها..

"كيف حالك يا عمه؟"

صعقت أم إياد وجن جنونها فبادرها إياد:

"ماما بليز أنا لقيت البنت اللي أتمناها وكان لازم أتقدم لها!"

"إياد! كان لازم تستناني لما أرجع! البنت ما حتطير!"

"صدقيني يا ماما البنت ممكن تطير في أي لحظة! ماما أرجوكِ لو اتصلت عليكِ السيدة رجاء بخصوص بنتها سوسن لا تطلعيني كذاب.. وعلى فكرة لا تنسي إنه بنت أخوكِ اسمها جمانة!"

"إياد.. برضايا عليك لا تسوي شي يزعلني منك!"

"ماما.. برضاكِ عليا ما حازعلك!"

انتهت مكالمة إياد المرئية مع والدته، وعاد كل منا إلى صمته.. وهمومه!

عدنا لبيتنا بعدت أن خلعت جمارى تجسدها وملابس والدة إياد، شعرت ببكاء سوسن يذيب نافذتها المغلقة ويحرق قلبي، وجمارى تشعر بي فيحترق قلبها غيرة علي.. لم نكن نعلم أن هناك ضيفاً في انتظارنا:

"أخيراً شرفتوا يا عرسان؟ كنت حاطفش وأمشي بس قلت عيب ما يصير.."

قالها زعنام الذي أطل من غرفتنا وأطلت معه عجوز قصيرة بدينة كئيبة هبت على جماري فلفت ذراعيها حول خصرها وألصقت خدها على بطنها بقوة وتركيز.. فسألها زعنام:

"هاه بشَري..؟"

التفتت العجوز إلى زعنام، يبدو أنها لا تتكلم، فقط اكتفت بإيماءة من رأسها.. فتبادرني زعنام بحضن كاذب وهو يقول:

"مبرووووك مبروك يا ولد عمي.. رح تصير أب.. ورح أصير أنا خال.. مبرووك يا جمارى"

آخر شئ قد تحتمله جمارى بعد كل ما رأته هو تهكم أخيها، تجاهلته ودخلت الغرفة.. نظر زعنام للعجوز وسألها:

"كم باقي على موعد الولاده؟"

فأشارت بأصابع يديها.. وبادرني زعنام:

"باقي عشرة أسابيع يا حوجن.. إنت عارف العقد اللي بينك وبين الملك هياف.. الأمور هذي مافيها لعب!"

"الملك هياف ما نفذ بنود العقد.. بس صرف جني الربط ولكن عفاريته قعدوا حايمين على الدكتور عبدالرحيم، الين ما قتلتهم!"

"أسمع! الملك هياف يقدر يذبحنا واحد واحد.. لكنه خايف من الفيحيين!.. لو صارت مشاكل معاهم رح يدخل نفسه في حرب ماهو قدها! عشان كذا كتّبك العقد عشان محد يقدر يفتح فمه!"

"لو قرب من جماری أو من إبني رح أقتله!"

"لا تصدق نفسك! تراك مو قد الملك هياف! اعقل لا تضيع نفسك واللي حوليك.."

أزحته عن طريقي ولحقت بجماری.. فلحقتني عبارته المهددة:

"حوجن! أصحك تسوي شي تندم عليه!!"

مرت الأيام بسرعة، نافذة سوسن لم تفتح أبداً، ولم تغادر البيت.. لم أرها على الإطلاق.. الحزن يلتهم البيت وساكنيه.. لم أتجرأ حتى على الا قتراب من نافذتها لأ سمع بكاءها ودعاءها.. لا أعلم إن تبقى لديها أي معنويات.. معنويات؟ كل شئ يشير إلى اتجاه واحد: الوفاة.. ولكن الله سبحانه فوق كل شئ وكل اتجاه، رأيتها اليوم، أخيراً.. يستحيل أن تكون هذه هي سوسن! جثة تتنفس.. هيكل عليه جلد رقيق بدون شعر.. حتى حواجبها ورموشها اختفت.. ولكنها كانت تبتسم.. كانت تحمل هم والديها.. تجبر كسر قلوبهم بابتسامتها، متجاهلة الموت الذي يلوح لها بذراعيه..

اتصلت بإياد فوراً، فسبقنا إلى المستشفى، رفضتُ إصرار جماری على مرافقتي، بالذات وقد أُنهك جسدها وعواطفها بسبب حملها، انطلقت معهم، كان إياد في انتظارنا يرتدي ملابس طاقم التمريض ويتناقش مع الأطباء عن حالة سوسن وكأنه أحد أقاربها. عملية كهذه تستغرق الكثير من الإعدادات، ساعتين ونحن نتجول في أروقة المستشفى مع سوسن،

والأطباء منهمكون في الفحوصات والتحاليل الا ستعدادية، وسوسن في كل هذه الأثناء تبتسم، وتتبادل النكات بمرح مع الأطباء، كانت المرضة تحلق ما تبقى على رأسها من شعيرات وسوسن تنظر إليها تتساقط وتضحك، لمحت سوسن إياد ونحن في طريقنا إلى غرفة العمليات فسألته:

"جا معانا صح؟"

عرف إياد أنها تقصدني، فأومأ برأسه إيماءة ارتاحت لها سوسن.. دخلت معها غرفة العمليات، واسطات إياد فشلت في إدخاله معنا، لا أستطيع وصف مشاعري في تلك اللحظات، جيش من الأطباء، حول جسد سوسن الذي استسلم للمخدر وارتخت ابتسامتها، قد تكون هذه آخر ابتسامة تبتسمها، خبت حقول طاقتها وأغمضت عينيها، قد لا تفتحهما بعد الآن، ست ساعات مضت وأنا أراقب ما يجري داخل دماغ سوسن، أراقب الدماء التي تنزف والأبخرة التي تصاعدت من جراء التهام أشعة الليزر لخلايا دماغها وأبتهل إلى الله بالدعاء.. انتهت العملية.. خرجنا.. رأيت إياد الملتصق بباب غرفة العمليات وخلفه أهل سوسن الذين عاشوا حالة

انهيار في الساعات الماضية، اقتربت من إياد وهمست في أذنه:

"إياد بسرعة اسأل الدكاتره كيف كانت العملية!"

" حوجن جاتني ثلاث اتصالات من جماري.. ما انتبهت للتليفون عشان كان عالصامت.."

جماري!!! ماذا حصل لها؟ تركت سوسن وطرت على الفور إلى البيت، لم أجد جماري، فقط وجدت آثار معركة لا تعني سوى أن الملك هياف قد أخذ زوجتي.. وابني!

هياف اللعين كان يراقبني طوال الوقت، كان يتحنى الفرصة المناسبة لاختطاف جماري، وكان انشغالي مع سوسن لساعات كافياً ليخطف جماري، ويبقر بطنها ويتخلص منها ومن زعنام ليحصل على ابني.. لا ليرشحه ليكون ملك المستقبل.. بل ليضحي به ويشرب دماءه في حضور مندوب اللعين الذي سيوثق مراسم انتقال الحكم والملك من سلالة الفيحيين إلى سلالته هو!..

(19)

حوجن.. لن أنساك!

أنا سوسن..

سوسن عبد الرحيم سعيد..

اسمحوا لي أن أحكي لكم قصتي..

قصتي التي بدأت منذ بضع سنوات.. عندما كنت لا أزال طالبة عشرينية في كلية الطب..

اعذروني مقدماً إن بدت قصتي كضرب من الخيالات الخزعبلاتية التي لا تصلح حتى أن تكون رواية فانتازية، أعجز أنا نفسي عن تصديقها!

قبل أن أبدأ أتمنى أن لا تعتبروني من الذين يهوون الخرافات وأساطير الجن والعفاريت، بالعكس تماماً، أنا إنسانة عقلانية وواقعية لأبعد الحدود، طبعاً لا أجحد وجود الجن، فقد ذكرهم الله سبحانه في القرآن الكريم، ولكني مقتنعة أن الكثير من "حكاوي" الجن هي وليدة الإثارة المصطنعة والحماس المبالغ فيه لكل ما هو غريب عن عالمنا.. إلى أن بدأت أحداث قصتي.. بالتحديد عندما انتقلنا إلى بيتنا الجديد.. كانت منطقتنا نائية في أطراف المدينة، وفي مناطق كهذه يزداد

الهوس بالجن، ويتحول كل تيار هواء يداعب الستائر أو يغلق الباب إلى رواية عن عفريت يحاول تطفيش أهل الدار..

كانت هذه قناعتي: الجن في حالهم وإحنا في حالنا! لا يمكن التواصل معهم بأي طريقة، عكس صديقاتي اللائي نجحن في إقناعي بتجربة لعبة الويجا.. لعبة فكرتها التحاور مع الجن.. في البداية اعتبرتها مجرد تسلية ووهم لا أكثر، إلى أن تعرفت عليه..

تعرفت على حوجن..

قد تعتبرونني مجنونة أو متوهمة، ولكنني فعلاً تعرفت على جني اسمه حوجن، عمره تسعين سنة! تعرفت على والدته وجده وزوجته، كنت مقتنعة أنني أتكلم معه بالساعات كل ليلة.. كنت أستخدم الآيباد للتواصل معه، أنطق الكلام وأشعر بأصابعي تتحرك وتكتب الإجابة على الآيباد.. الشيء الذي لم ألاحظه في البداية هو أن ظهور حوجن كان في نفس الوقت الذي اكتشفت فيه أنني مصابة بسرطان الدماغ أجاركم الله.

سبحان الله ، جسم الإنسان مليء بالأسرار، بالذات الدماغ، كانت أعراض حوجن تتفاقم مع أعراض المرض، بداية بظواهر

غريبة تحصل في بيتنا من أصوات واضطراب في الكهرباء وغلق للأبواب، حتى أصبح الجميع يعتبرون بيتنا مسكوناً بالجن والعفاريت، ما لم أتوقعه هو أن يقتنع والدي رحمة الله عليه بهذه الفكرة، أصبح بيتنا ساحة لتجارب السحرة والمشعوذين والدجالين بحجة طرد الشياطين، وكانت الظواهر الغريبة تتفاقم ويتفاقم معها مرضي.. وتهيؤاتي.. وصلت لدرجة إني أرى العفاريت أمامي يحاولون خنقي ودفعي من النافذة، أصبت بنوبات هستيريا وتشنج دخلت على إثرها في غيبوبة كادت أن تودي بحياتي. مع استفحال السرطان وفشل الكيموثيرابي كان لا بد من التدخل الجراحي الذي كانت نسبة نجاحه لا تكاد تذكر..

وحصلت المعجزة! اعترف الأطباء أن غاية أملهم كانت أن أنجو بحياتي من العملية مع بعض الإعاقات الذهنية والحركية الدائمة، ولكنني كما ترون أمامكم.. أكتب هذه السطور وأحكي لكم قصتي وابنتي تلعب بجواري.. قدرة الله سبحانه ولطفه فوق كل شيء.. فوق العلم وفوق سرطان الدماغ وفوق نسب نجاح العمليات! باستثناء بعض الأدوية الوقائية التي أتناولها ورعشة خفيفة جداً في أناملي أعتبر نفسي طبيعية

جداً، والفضل في ذلك يعود بعد الله لأكثر إنسان أعشقه.. لأكثر إنسان وقف بجانبي في محنتي..

لإياد..

زوجي!

تعرفت على إياد أيام الكلية، كان دائماً يحاول الاحتكاك بي، وكنت دائماً أتجاهله، بالرغم من أنه كان يصيب نصف بنات الكلية بحالات هستيريا وانهيار كلما مر أمامهم أو ابتسم لإحداهن أو حتى لمحوه يمتطي صهوة سيارته الرياضية الفارهة، كل ذلك لم يكن يستهويني، فكنت أراه، بالرغم من وسامته وثرائه، شاب عادي جداً، وكنت مقتنعه أن إصراره على ملاحقتي ليس إلا ردة فعل لتجاهلي له، لأن هذا النوع من الشباب لا يستفزه سوى تجاهل الفتاة له، فيترك قطيعاً من ملكات الجمال ليلهث خلف المعزة الشاردة التي تتجاهله!

ولكن إياد أثبت لي عكس ذلك كله، لقد خسرت جزءاً كبيراً من ذاكرتي، بالذات في الفترة التي تفاقم فيها مرضي، ولكنني أذكر أن إياد تقدم لخطبتي وأنا أحتضر! ورفضته، ولكنه أصر بكل عناد.. لم يتركني لحظة أثناء العملية ولا بعدها..

كنت بعد العملية كطفلة رضيعة لا أقوى على الكلام ولا الحركة ولا الاستيعاب.. قضيت عاماً كاملاً في برنامج تأهيلي مكثف، وكان إياد ينتظرني في المستشفى كل يوم بالساعات، حتى بعد انتهاء فترتي العلاجية تقدم لخطبتي مرة أخرى متجاهلاً جميع الخيارات التي اقترحها والداه، ومتجاهلاً رفضي المتكرر لفكرة الزواج، لا يمكن أن أقبل على نفسي زواج الشفقة، كان العلاج النفسي بالنسبة لي بأهمية الأدوية، مع إلحاح إياد قبلت أن أزور الدكتور عماد زكي، أحد أروع الأطباء النفسيين، كان الدكتور عماد لا يقبل سوى الحالات النادرة والمستعصية، وتبنى حالتي بحكم صداقته بوالد إياد، الدكتور عماد هو الشخص الوحيد الذي فهم حالتي وشخصها بكل دقة، واستطاع بخبرته ومهارته أن يفك ألغاز عقدي النفسية وأن يعيدني مرة أخرى لحياتي كما كنت قبل أن أكتشف أني مصابة بالسرطان. استمرت جلساتي العلاجية مع الدكتور عماد عاماً آخر، اكتشفت خلال تلك الجلسات أنني كنت أعاني من الكاتاتونك شيزوفرينيا، كنت أعيش عالماً افتراضياً نسجه عقلي، لن تصدقوني إلا لو مررتم بنفس تجربتي، كنت متأكدة أنني على اتصال بعالم الجن، كانت الأحداث منسوجة بكل دقة، أتذكر نقاشي مع حوجن، وأسئلته وإجاباته على

أسئلتي والمعلومات التي أخبرني بها عن عالم الجن والأبعاد المختلفة.. كل ذلك كان فيلماً بارعاً من إخراج وإنتاج.. دماغي! حوجن هو النسخة التي رسمتها أنا لنفسي، هو الشخصية التي ابتكرها دماغي ليعالج جوانب النقص في شخصيتي أنا.. ذكر من عالم آخر ذو قدرات خارقة.. أقنع نفسي بوجوده لأهرب من واقعي كأنثى مريضة ضعيفه عقلانية إلى عالمه الخيالي. كان الدكتور عماد زكي يدهشني.. بل يرعبني أحياناً عندما يستنبط وبكل دقة تفاصيل حالة "حوجن" في حياتي.. كان في نفس الوقت يعزز جوانب النقص التي دفعتني إلى اختراع حوجن، استعدت ثقتي بنفسي، استعدت عشقي للحياة، لم تمض سنة حتى كنت مخطوبة لإياد، قررت أن أسخر حياتي لأرد بعض جمائله علي، أستيقظ كل يوم وكأني ولدت من جديد، نعم! كل يوم نستيقظ فيه هو هبة من الله سبحانه، لا بد أن نستغل كل لحظة فيه لنُسعد من حولنا، ونسعد بسعادتهم، ليس بالضرورة أن يواجه الإنسان الموت ليستشعر أعظم نعم الله عليه.. نعمة الحياة! سأشكر الله على حياتي.. لحظة بلحظة.. من أجل إياد.. ومن أجل ابنتي.. جمانه!

أصر إياد على تسميتها جمانة.. احترمت إصراره، وكتمانه لسر تعلقه بذلك الاسم.. وغيرتي من احتمال أن تكون جمانه هذه إنسانة ذات مكانة خاصة في حياته، كل هذا لا يهمني.. المهم أن الله سبحانه كتب لي حياة جديدة سعيدة.. بفضله ثم بفضل إياد الذي وهبني حياته كي لا أفقد حياتي، والدكتور عماد الذي لا يمر أسبوع دون أن يرسل رسالة لإياد ليطمئن علي وعلى جمانه.. ولا أنسى أيضاً فضل الذي فررت معه عن واقعي عندما لم أحتمل آلامه.. بالرغم من كونه وهم نسجته معاناة دماغي.. إلا أنني لن أنساه أبداً..

لن أنساك أبداً يا حوجن!

(20)

الوداع يا سوسن!

كنت أظن أن أصعب لحظة في الحياة هي لحظة الوفاة.. تقترب منا كلما فررنا منها.. لكنني اكتشفت اليوم أن في الحياة لحظات نتمنى أن يداهمنا الموت قبل أن تداهمنا.. لحظات يقتلنا فيها الألم لفقد من ذابت لهم قلوبنا.. اليوم تركت سوسن بين الحياة والموت لأفجع بفقدان جماري.. وابني! انطلقت إلى ملاج وأنا متيقن من أني لن أعود. احتشد الجميع في ساحة المدينة حول المنصة الملكية، التي جلس عليها هياف بكامل أبهته على عرشه، وعن شماله مبعوث اللعين وأمامهم المذبح، وعلى المذبح طفل رضيع، هذه أول مرة أرى فيها ابني.. أراه بين يدي سادن يتأهب لذبحه من أجل اللعين! في موقف كهذا لا يحتاج الشخص إلى تحليل أو تفكير، كنت أتقدم نحو المنصة بجنون وهياف يتلو الطلاسم وفي لحظة مباغتة كنت أمام السادن الذي صُعق عندما فوجئ بي أمامه، لم يستمر اندهاشه لأكثر من لحظة حيث كنت أمرر السكين التي كان يستلها فوق عنق ابني على عنقه هو، لم أعطه الفرصة ليستوعب أنه ذُبح على مذبحه! مددت يدي لأتناول ابني الذي لطخته دماء السادن ولكن حركتي تكبلت قبل أن أصل إليه حيث هجم علي جيش من الحرس الذين تكوموا

فوقي وثبتوني على الأرض، رأيت أقدام الملك تقترب ببطء من رأسي الملتصق بالأرض:

"حوجن.. معليش أضطريت أفتح بطن جمارى عشان آخذ الولد.. تعرفني ما أقدر أصبر!"

فجأة سقط أمام وجهي مباشرة رأس!.. رأس زعنام..

"للأسف الشديد أضطريت أقتله.. كان بيسوي فيها بطل وبيدافع عن أخته، بس تصدق؟ المدام من جد حلوة، حتى وإحنا بنشق بطنها كانت غاية في الجمال! بس ما حبيت أشغلك عن البنوته الإنسية وأجيبك تشوف ولدك ينذبح قدامك.. أخلاقياتي ما تسمح لي.. لكن بما إنك أصرّيت تشرَ فنا.. مافي مانع نشرب المزيد من دم الفيحيين.."

كانت هذه غلطة هياف الكبرى، تجرأ على ذكر جمارى! لقد أصدر حكم الإعدام على نفسه! ماجت الدنيا أمام عيني أعتقدت أنني استطعت رفع كومة المردة فوق ظهري لوهلة ثم.. انتقلت! انتقلت إلى عالمكم.. وسحبت معي مجموعة منهم! شعرت بنفسي ساقطاً في الهواء لأرتطم بالأمواج الثائرة

ومن حولي المردة.. صارعت الأمواج وأنا أسمع صرخاتهم التي لم تستوعب أنهم انتقلوا إلى البعد المادي ليغرقوا في أعماقه. يجب أن أعود لأنقذ ابني! شعرت بذراع لزج يلتف حول عنقي وذراع أخرى التفت حول معصمي وذراع التف حول خصري وآخر حول صدري يعتصرني بشدة، يحطم أضلاعي وشعرت بأنياب حادة تنغرس بين رقبتي وكتفي.. لقد كان ذلك هياف.. قرر أن يتخلص مني في العالم المادي فتجسد واتخذ شكل مخلوق عجيب بأذرع متعددة وأنياب حادة كان من المستحيل أن أتخلص منها. حاولت أن أعود لبعدنا باستماته، اختنقت بدأت أشعر أن لحظة وفاتي قد حانت، ولكنني ما إن تذكرت ابني حتى فرت مني لحظة الوفاة فصرخت رغم اختناقي وضلوعي المتهشمة والمياه التي ملأت صدري.. حاول أن يلجم فمي بأذرعة ولكن صرختي انطلقت وأعادتني! سقطت كالحجر بقرب المنصة وبجواري الملك هياف.. ولكن المنصة التي غادرناها لدقائق بسيطة انقلبت الى ساحة معركة حقيقية! الغلطة الأخرى التي ارتكبها هياف هي أنه تمادى في التهكم بالفيحيين! ثارت دماؤهم التي كان يتوعد بشربها فانقضوا على الحراس وعاونتهم الحشود التي لم تعد تطيق ظلم هياف.. كانت معركة غير متكافئة أبداً.. استأثر

فيها الفيجيون بالكثرة والشجاعة ووجد هياف نفسه ملقىً بين أقدام الذين كانت غاية أمانيهم أن يدوسوه ويتخلصوا من ظلمه. لم آبه بهياف! ولم آبه بدمائي التي تنزف بغزارة من رقبتي وكتفي، ولا بالآلام الرهيبة في ضلوعي.. فقط انطلقت بين الزحام نحو ابني الذي حمله أحد أعمامي، تناولته منه، احتضنته لأول مرة في حياتي، ثم اظلمت الدنيا في عيني وفقدت وعيي.

لطف الله ليس له حدود، في خضم يأسنا ومآسينا تنسينا عقولنا المحدودة لطف ربنا وقدرته، حتى إذا انقض علينا هلاكُنا تغمدنا برحمة منه تخجلنا من يأسنا وتنسينا مآسينا. أفقت من غيبوبتي في اليوم التالي، كنت مستلقٍ في بيت أحد أعمامي يضمدون جراحي، تلفت فرأيت ابني تحمله زوجة عمي، تلفت للجهة الأخرى فرأيتها. رأيت جماري مستلقية جواري.. رؤيتي لها ردت إلي روحي فتوجهت لها رغم آلامي، أريد أن أتأكد إن كانت هذه جماري أم جثتها، كانت شاحبة كالأموات وكأن دماءها قد جفت.. وضعت يدي على جبينها وهمست همسة عجزت أذني عن سماعها..

"جماري.. جماري.. أنا حوجن.."

فتحت عينيها بتثاقل شديد، حاولت أن تتعلق بحضني ولكن جراحها وآلامها لم تسعفها سوى بتحريك شفتيها:

"حوجن.. حوجن حبيبي.. ليه تأخرت؟"

صمتت شفاهي ونطقت دموعي .. احتضنت كفها إلى صدري..

"حوجن كيف حال سوسن.."

أومأت برأسي.. لا يهمني في هذه اللحظة سوى جماري وابني.. لمحتنا زوجة عمي فأقبلت في فرح تحمل ابننا، تناولته منها بيد ورفعت جماري باليد الأخرى ليستمتع بحضن أمه لأول مرة، ابتسمت جماري وكأن روحها عادت إليها هي أيضاً عندما اطمأنت على ابننا..

"ميحال.. شبهك يا حوجن!"

"قصدك إلياسين.."

لم يتوقع أحد أن لا أسمي ابني على اسم أبي وأن أسميه على اسم جدي النفري..

"إلياسين؟"

"اسم جدي الله يرحمه.. لو أبويه كان عايش ما كان رضي يسميه غير إلياسين.."

تركت ملاج بعد أن تماثلنا للشفاء أنا وجماري. بعد مقتل هياف والتمثيل بجثته اتفق سكان ملاج وضواحيها على تشكيل سلطة حاكمة مكونة من زعماء القبائل يترأسهم عمي. وبالرغم من انشغاله إلا أنه حاول مراراً ليقنعنا بالاستقرار في ملاج، نفس المحاولات حاولها معنا شيخ اليتمة عندما ذهبت لأري ابني إلياسين لوالدتي. قررت أن آخذ والدتي وزوجتي وابني لنستقر بعيداً عنكم أيها الإنس.. وبعيداً عن الشياطين في ملاج وبعيداً عن المتشددين في اليتمة فانتقلنا للعيش في الهندبة التي تطورت مدنياً عندما تعايش سكانها تحت مظلة الحرية والعدل وتجاهلوا العنصريات القبائلية والمذهبية.

انشغلت بأسرتي عن سوسن.. عدت للاطمئنان عليها بعد أن استقرت أموري العائلية، كانت حالتها تدمي القلوب، بعد العملية فقدت ذاكرتها وقدراتها العقلية وأملها في العودة لحياتها الطبيعية، كانت كطفلة تائهة لا تملك سوى إصرارها وتعلقها برحمة الله، وكان إياد معها لحظة بلحظة، كنت أحضر معه جلساتها العلاجية، التي استمرت سنة كاملة أعادت

تأهيلها جسمانياً وعقلياً، ولكن نفسيتها بقيت محطمة، وتدخلت أنا لعلاجها بخطة عبقرية رسمها إياد. بدأت سوسن تتذكرني وتذكرني، سألت إياد عني مراراً، ولكنني نبهته إلى أنه يجب أن ينكر وجودي، يجب أن تنسى سوسن كل شئ عني كي تعيش حياتها الطبيعية وتسخر جميع عواطفها لإياد. استغل إياد شهادته الطبية وبعض أموال أبيه ليفتح عيادة نفسية، واختار أكثر الأطباء خبرة في حالة سوسن: أنا!

استغرقت فترة طويلة لأتقن التشكل في عالمكم، والبركة في جماري التي علمتني، كنت أنتحل شخصية الدكتور النفساني عماد زكي، وكانت جماري تنتحل شخصية ممرضتي، هي أصرت على ذلك من باب الفضول، والغيرة على ما أعتقد. معرفتي بكل ما حصل لسوسن سهل علي عملية إقناعها بأنني لم أكن سوى وهم نسجه خيالها وشخصية ابتكرتها هي لتعزز جوانب النقص في شخصيتها.. لم تقتنع بسهولة، سنة كاملة وأنا أعيد إحياء معنوياتها وثقتها في نفسها، سنة كاملة وأنا أحاول محو جميع ذكرياتي من وجدانها.. ونجحت! كنت أتعذب وأسيطر على دموعي بصعوبة أثناء كل جلسة وتنهار سيطرتي بعدها. كدت أن أفضح نفسي أكثر من مرة، كدت أن أعترف لها بوجودي وبحبي. ولكن ذلك الحب منعني من أن

أعود مرة أخرى لحياتها التي عادت إلى طبيعتها. عزموني بصفتي الدكتور عماد زكي وممرضتي، جماري، إلى زواجهما، وبعدها بسنة عزمونا بمناسبة تشريف مولودتهم الجديدة التي أصر إياد على تسميتها جمانة إكراماً لجماري بالرغم من أن ذلك الإصرار كاد أن يفضحنا.

أصبحت أراقبها كلما سنحت لي الفرصة، أزور منزل الدكتور عبدالرحيم رحمة الله عليه كل جمعة حيث تأتي سوسن وإياد لزيارة السيدة رجاء. آخذ معي إلياسين أحياناً. ترانا طفلتهم جمانة التي لا تزال روحها غضة شفافة فتضحك مع إلياسين، أحرص دائماً على توصية إياد على سوسن، أرسل له رسائل من جواله الذي لا زلت أحتفظ به، وعندما تسأله سوسن يجيبها بأنها رسالة من Dr. E Z الدكتور عماد زكي للسلام والاطمئنان.

وهاهي السنين ترونها تمر بسرعة، ونراها تمر أسرع.. لا أصدق أن إلياسين أصبح في الرابعة وجمانة في الثانية من عمرها، مرت في هذه السنين البسيطة من عمري بأحداث لم تمر علي في التسعين سنة التي قبلها، وما زلت أتساءل لماذا كتبتها لكم..

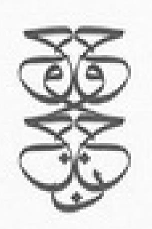
أشكركم على كل كلمة قرأتموها وكل عاطفة شاركتموني إياها، قد أكون بجوار أحدكم الآن وهو يقرؤها، قد أشاهد أبناءكم وأحفادكم يقرأونها. كم ترعبني هذه الفكرة! فكرة أنني أكبر ببطء بينما أشاهد سوسن تكبر أمامي بسرعة.. بعد سنوات قليلة ستكبر جمانة وتتزوج ويصبح لسوسن أحفاد و..

المهم أن تكون هي بخير..

وأن تكون فكرتكم عنا قد تغيرت..

وأن أترك بين يديكم قصتي..

قصتي مع سوسن.. الإنسية.



- النهاية -

- من صفحات الرواية القادمة: هُناك -

مرت بنا الساعات سريعة ونحن نعزف ونغني، تذكرت معظم الأغاني التي سمعتها في حياتي، عزفتها، وغنيتها معهن. من أغاني أم كلثوم وحتى أغاني أفلام الكرتون! أعتقد أن كارلوس سانتانا سيتحطم نفسياً ويعتزل إن سمع عزفي على الغيتار! لم أجرؤ طبعاً على طلب تعلم الغيتار من بيتهوفن، وإلا لحطمه على نافوخي. فعلاً لم أشعر بوقتي وأنا غارق في المتعة مع ليان وأخواتها، حتى بترت ملاك متعتنا فجأة! كانت واقفة أمامي مكتفة يديها وجمالها كله تحول إلى كتلة من الغيرة والغضب، لم ألاحظ أنا وجودها في البداية فقد كنت منهمكاً بالعزف والغناء إلى أن ارتبكت ليان واصفر وجه لينا وانشلت حركة لين. رفعت رأسي نحو ملاك فقالت:

"学习中国呢？太棒了!"

طبعاً لم أفهم من رطنها شيئاً! فقط استوعبت أنها كانت عبارة غاضبة باللغة الصينية التي كان من المفترض أن أتقنها بدل أن أضيع الوقت مع ليان وأخواتها!.. ملاك لم تقرصني من أذني ولم تجرني بها إلى المصعد، ولكنني شعرت ضمنياً بالألم والشد في أذني، لم تستطع الحوريات حبس ضحكاتهن

الخفيفة وأنا أتوجه إلى المصعد كطفلٍ سيتعرض للتوبيخ الشديد!

"يعني حضرتك سايب الشغل وجالس تتحلون قدام البنات؟!"

قالتها بغضب ونحن في طريقنا إلى غرفتي..

"مو مشكلة!! أديني ساعة بس وأنا أتعلم لك فيها صيني ولاوندي كمان!"

"لحسن حظك السيد بروس يتكلم إنجليزي!"

"طب ما قلت لك من أول بلا شي الغلبة وخلينا نمشيها بالانجليزي أو جهاز الترجمة!"

"وأنا قلت لك إنه ما فيش أحسن من التفاهم مع الشخص بلغته!"

غاصت في غرفة الملابس، وعادت بسترة رياضية صفراء، مزينة بخطين عريضين أسودين على طول أكمامها..

"تذكرت!!"

هتفتُ بها فأجابتني:

"تذكرت السيد بروس؟"

"لا! تذكرت إني إتحادي حتى النخاع! كيف عرفتِ إني إتحادي؟"

مازالت غيرتها مشتعلة.. لا ألومها! بصراحة لإ شعال غيرة الفتيات لذة خاصة!.. ممم أفضل أن أحترم نفسي حتى وأنا أفكر مع نفسي، لا تنسوا أنها تقرأ أفكاري وقد تنفجر في أي لحظة! ألقت بالملابس على وجهي وقالت بعصبية:

"عندك ثلاث دقايق! تغير ملابسك على بال ما أجيب السيارة من الموقف! لو تأخرت حاروح وأسيبك!"

قالتها بلهجة آمرة لا تتماشى أبداً مع رقتها ونعومتها.. ولكنها فاتنة حتى وهي في قمة غضبها! لبستُ بسرعة خارقة ونزلت في اللحظة التي علا فيها هدير محرك سيارة شيفيللي إمريكية وظهرت مقدمتها الحمراء الطويلة تقودها ملاك التي لفت على رأسها منديلاً حريرياً أبيض مزين بدوائر سوداء وارتدت نظارة داكنة كبيرة، كأنها إحدى ممثلات هوليوود في عز السبعينات.